آصف بن برخيا

آصف بن برخيا
تأليف : سارة أحمد
الإخراج الداخلي : إسلام الحماقي
مراجعة لغوية: أحمد عبد الجواد
تصميم الغلاف : مصطفى أبو مسلم
مدير النشر: أحمد خطاب
رقم الإيداع: 25958 - 2017
الترقيم الدولي: 4 - 32 - 6598 - 977 - 978
الطبعة الأولي: 2017
إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712
3aberorg@gmail.com
www.3aber.org
عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

آصف بن برخيا

سارة أحمد

الإهداء

إلى آصف بن برخيا في كل زمان ومكان.

(١)

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، واصطفانا على خلقه أجمعين، وجعلنا من نسل قوم صالحين، وخصنا بما يختص به قليل من عباده المختارين ثم أما بعد،

فاعلم يا من يصلك كتابي هذا أنك مني وأنني منك وأننا - وله الفضل و المنة - من ذرية الحفظة، حفظة الأسرار، الذين يحملون أمانات ناءت بحملها الجبال، واستحالت على كثير ممن يطلق عليهم رجال.

فإنه تعالى كما اختار رسلا واصطفاهم من سلالات كرام، وهب لهم وزراء عظامًا، قاموا لهم بالنصيحة، وحملوا معهم الأمانة وأخذوا العهد وحفظوه، وكتموا لهم الأسرار.

فنحن من نسل كريم، نحمل الأمانة ونرعاها مهما عظمت الخطوب وكثرت الفتن وتجبر الظالمون.

وقد جمعت بعض ما وصل إليَّ مما ذكر آباؤنا الأولون ومر بي وسيمر بك، فاحفظه وعه؛ ففيه سر عظيم وعهد كريم لا يناله إلا الأشداء العقلاء، فيه ما إن تكلمت به سمعت وإن ناجيت به استجب لك، لا تتخاطفه الملائكة ولا تسعه أرض ولا سماء.

فاقرأ بقلبك واحفظ بعقلك...

(٢)

يوم مشرق جديد تظهر فيه جامعة القاهرة شامخة بقبتها الجميلة وتكتظ بموجات من الطلبة في المدرجات والمكتبات وأيضًا في الكافيتريات والحدائق.

يظهر أحمد الذي يحضر ماجيستير آداب قسم اللغة العربية خارجًا من أحد المدرجات

ملقيًا التحية علي زملائه في طريقه إلى الباب خارجًا، ويستوقفه أحدهم.

الصديق: علي فين يا أبو حميد؟!

أحمد: سور الأزبكية، عايز حاجة من هناك؟

الصديق: إنت تاني، يا دي الكتب اللي هتجننك! كنا عايزين نخرج شوية.

أحمد: الحمد لله إن الكتب اللي هتجنني مش حاجة تانية، عمومًا هاخلص واكلمك إن شاء الله.

ويواصل أحمد طريقه إلى خارج الجامعة ويركب متجهًا لسور الأزبكية.

يذهب أحمد إلى هناك مرة أو مرتين كل أسبوع كأنه يبحث عن ضالته فهو مغرم بالقراءة منذ صغره ودخوله كلية الآداب زاد من حسه الأدبي ونهمه للقراءة في شتى المجالات؛ تجهيزًا لنفسه ليكون أديبًا كبيرًا أو رئيس تحرير عما قريب.

أحمد: أيوه على جنب يا اسطا.

ويبدأ أحمد في سيره المعتاد بين البائعين وإلقائه نظرات خاطفة على الكتب لعله يرى ما يشده، ويلقي التحية على البائعين فقد أصبح بكثرة تردده عليهم يعرف كثيرا منهم، بل تطور الأمر لأن يعقد صداقة وطيدة مع أحدهم رغم فارق السن الكبير: « عم حمزاوي»

قطع الطريق حتى وصل إلى فرش عم حمزاوي ولأول مرة منذ أن عرفه يجد مكانه فارغًا.

أحمد يسأل الشاب المجاور له بقلق،

احمد: إزيك يا ابراهيم؟ فين عم حمزاوي؟

البائع: أهلا يا أستاذنا. والله عم حمزاوي تعب امبارح وهو واقف وداخ وروحناه وما جاش النهاردا كمان.

أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله. طب ممكن توصف لي بيته.

وذهب أحمد حيث المنزل وكان شديد التهالك، وصعد حتى الدور الثالث والأخير ووجد الباب مفتوحًا. رن الجرس.

أحمد: عم حمزاوي، يا عم حمزاوي.

عم حمزاوي بإعياء شديد: ادخل يا اللي بره.

فدخل أحمد. المنزل بسيط مثل صاحبه. الصالة بها أريكة ومنضدة عليها كتب وكاسيت وبعض شرائط مديح، وستارة تفصل عنها الغرفة الوحيدة التي يرقد فيها عم حمزاوي بها سرير ودولاب وكرسي ومنضدة عليها كتب ومصحف وسبحة وبعض الأدوية

أحمد: ما لك يا عم حمزاوي؟ قلقتني عليك.

عم حمزاوى: أهلا يا ابني.

أحمد: فيك إيه طيب؟

عم حمزاوى: أنا كويس الحمد لله. مستني أمر الله، وحشني أبو الزهراء وجد الحسن والحسين.

أحمد: بعد الشر عليك! ما تقولش كدا؛ إنت زي الفل. إنت كشفت؟

عم حمزاوي: يا حبيبي ربنا هو المداوي.

أحمد: طب عن إذنك، وقام منتفضا.

عم حمزاوي: رايح فين؟

أحمد: راجع، راجع حالا

وعاد أحمد ومعه الطبيب الذي كشف على عم حمزاوي وطلب منه الراحة والغذاء

وبعض التحاليل، وذهب أحمد ليوصل الطبيب وعاد ومعه بعض الأكياس الممتلئة، وخلال ساعة كان قد عمل شوربة الخضار وحضر بعض الفاكهة وبدأ يأكل عم حمزاوي، وبعدها أعطاه الدواء.

عم حمزاوي: تعبتك معايا يا ابني.

أحمد: ما تقولش كدا يا راجل يا طيب، ما تؤمرش بأي حاجة قبل ما امشي؟ وما تقلقش هاجي لك بكرة بدري نفطر سوا.

عم حمزاوي: كتر خيرك متهيأ لي لو ابني مش هيعمل معايا كدا.

وهمَّ أحمد بالرحيل وقاطعه عم حمزاوي

عم حمزاوي: معلش يا ابني، ممكن طلب أخير؟ أنا تقلت عليك.

أحمد: خالص أؤمر.

عم حمزاوي: ناولني السبحة واقرا لي شوية في الكتاب اللي عندك على الترابيزة دا

أحمد: من عينيَّ. دا كتاب إيه يا مولانا؟ «مكاشفة القلوب» الله الله! إنت جميل يا عمنا وروحك هايمة وهمتك عالية

عم حمزاوي: وانت كمان يا احمد، قلبك عاشق وبتدور، وربنا هيوصلك إن شاء؛ طالما ملازم الباب وبتخبط هيتفتح لك.

وأخذ أحمد في القراءة وعم حمزاوي في الذكر إلى أن راح في ثبات عميق وانسحب أحمد بهدوء ورد الباب خلفه كي يفتحه صباحًا دون أن يقوم عم حمزاوي.

(٣)

إنه في قرب زمان غلبت العمالقة قوم الأنبياء، قتلوا وسلبوا آملين في قطع النبوة عن نسل بني إسرائيل، ولم يلقوا طفلًا إلا قتلوه ولا امرأةً حبلى، إلا امرأةً تحمل في طيات أحشائها البشارة، تخفت من القوم، وأخفت ما بها، وظلت تبتهل إلى الله وتناجيه بواسع فضله وعلمه وسمعه أن يمن عليها بالولد حفظًا للنبوة، فرزقت ب «شمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا» ونذرت ما رزقها الله إليه ووهبته له، عمدت إلى حفظه وإخفائه حتى اشتد عوده وأسلمته للرجل الصالح ليحيطه من فيض العلوم، وظهر نبوغه وسرعة تلقيه للعلوم حتى بلغ مبلغ الرجال وفاض عقله بالعلم وقلبه بالحكمة فأتاه رسول السماء الذى يحمل أمانة الله إلى الأنبياء، فتحققت نبوءته وأصبح بفضل الله ومنته رسولًا آخر من أبناء يعقوب.

جبرائيل: استيقظ يا نبي الله. قم من سباتك.

شمويل: من المتحدث؟!

جبرائيل: أنا جبرائيل، رسول الله إليك.

شمويل: جبرائيل؟! حافظ الوحي؟! رسول السماء إلى الأرض؟!

جبرائيل: نعم، لقد منَّ الله على بني إسرائيل أن بعثك فيهم نبيًّا، تذكرهم

بالتوراة وتعيدهم إلى سبيل الله الذي حادوا عنه.

شمويل: وماذا عليَّ أن أفعل؟!

جبرائيل: انفض النوم عنك؛ فلقد طال نومك، وآن أوان صحوك. اذهب إلى بني إسرائيل وادعوهم إلى البر وحسن الخلق واهدهم إلى سبيل الله.

شمويل: أمصدقيني هم؟!

جبرائيل: اذهب واصبر وصابر، ولا تخش شيئًا؛ الله معك يسمع ويرى.

بالفعل ذهب شمويل إلى بني إسرائيل واعتلى تبة وصاح فيهم أن هلموا اليَّ بني إسرائيل. فلما اجتمعوا حوله بدأ يخاطبهم ويذكرهم بأيام الله.

شمويل: أنا يا عباد الله قد أتاني رسول السماء وأمرني أن أقوم فيكم نبيًّا، فعودوا إلى بارئكم وتوبوا إليه.

أحد بني إسرائيل: أو كلما مر علينا الوقت يتنبى أحدنا؟ وما لنا نصدقك؟

شمويل: كيف لي أن أكذب في خبر السماء؟!

أحد بني إسرائيل: ربما أردت الملك والإمارة.

شمويل: لا حاجة لي في ملك زائل، لكني أعينكم على أمور دينكم.

أحد بني إسرائيل: وبما بعثك إلهك فينا؟

شمويل: بعثني فيكم مذكرا لكم بعهدكم لموسى، ومحيي التوراة في قلوبكم.

أحد بني إسرائيل: وكيف نحيي في قلوبنا ما عذبنا من أجله وما قتلنا فيه، وقد أصبحنا مستضعفين في الأرض؟

شمويل: لو عدتم إلى الله أعاد إليكم الحق. أو لم تعلموا أن الأرض لله يورثها من يشاء؟
أحد بني إسرائيل: إذن خض بنا حربًا ضد العماليق.
أحد بني إسرائيل: نعم، نريد الثأر.
أحد بني إسرائيل: وتكون هي آية رسالتك لنا.
شمويل: ولكني عبدٌ رسولٌ، لم أؤمر بخوض الحرب بكم.
أحد بني إسرائيل: إذن فاسأل ربك أن يبعث لنا ملكًا.
أحد بني إسرائيل: نريد أن نقاتل في سبيل الله.
شمويل: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؟
أحد بني إسرائيل: كيف لنا ألا نقاتل في سبيل الله؟!
أحد بني إسرائيل: نعم، لقد أخرجنا من ديارنا.
أحد بني إسرائيل: وأبناؤنا قتلوا.
شمويل: إن اختبركم الله بهذا وبعث فيكم ملكًا ولم تقوموا بحق الجهاد تكونوا من الظالمين ويحل عليكم غضب من الله.
أحد بني إسرائيل: سنجاهد في سبيل الله حق الجهاد.
أحد بني إسرائيل: سنجاهد حتى لا يبقى منا فرد.
أحد بني إسرائيل: سنخرج بأنفسنا وأموالنا حتى نلقى ربنا.
شمويل: اللّٰهُمَّ ربنا مالك الملك، بحق اسمك الأعظم وصفاتك العظيمة امنن علينا بملك، يخوض بنا حربًا ضد العماليق، نطيعه ونجاهد معه في سبيلك حتى تقضي أمرك فينا!

جبرائيل: يا نبي الله، إن الله قد بعث فيكم طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ملكًا فاسمعوا له وأطيعوا. سيخوض بكم ويمكن الله لكم على يديه.

شمويل: يا بني إسرائيل يا من اصطفاكم الله لعبادته، إن الله قد بعث فيكم طالوت ملكًا فاسمعوا له وأطيعوا.

أحد بني إسرائيل: طالوت!

أحد بني إسرائيل: أنَّى يكون له الملك علينا؟!

أحد بني إسرائيل: إنه ليس من سبطنا بل من أبناء بنيامين.

أحد بني إسرائيل: كيف نقبل بملكه؟!

أحد بني إسرائيل: نحن أحق بالملك منه.

أحد بني إسرائيل: ما هذا الملك الذي لا يملك درهمًا ولا دينارًا؟!

أحد بني إسرائيل: لا لن نقبل به.

شمويل: إنه اختيار الله لكم. ألا ترون أن الله زاده بسطة في العلم والجسم؟

أحد بني إسرائيل: ما هذه البسطة بالتي ترضينا عنه.

أحد بني إسرائيل: قل لله أن يجعل لنا ملكًا غيره.

شمويل: إن الله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم.

أحد بني اسرائيل: إذن فليأتنا بآية، ليأتنا بالتابوت.

شمويل: يا بني إسرائيل، إن الله أوحى إليَّ أنه سيرسل عليكم التابوت آية ملك طالوت.

أحد بني إسرائيل: يا إلٰه موسى! ها هو التابوت.

أحد بني إسرائيل: كيف هذا؟ إنه يطير!

شمويل: لا ولكن تحمله الملائكة.

أحد بني إسرائيل: إنها السكينة تغشانا.

أحد بني إسرائيل: نعم والله.

أحد بني إسرائيل: سأفتح التابوت لأرى ما به. يا ويلي! أكاد أحترق.

شمويل: سيفتحه طالوت لكم فهو آية ملكه ولن يقترب منه أحد إلا احترق بإذن العزيز العليم.

طالوت: هذه عصا موسى، والألواح التي كتبت عليها التوراة، وشيء من المن المتبقي من التيه.

أحد بني إسرائيل: إنك يا شمويل نبي من الله بحق، وإنك يا طالوت ملكنا من الآن.

أحد بني إسرائيل: قبلنا نبوتك وملك طالوت علينا.

أحد بني إسرائيل: وسنجاهد معه حتى يقضي الله أمرًا.

خرج طالوت بالجنود قاطعًا بهم الفيافي متجهًا للقاء العدو ولما بدا التعب والأعياء على بني إسرائيل توجه إليهم.

طالوت: يا بني إسرائيل إن الله اصطفاكم على عباده في الأرض وخصكم بالرسل بدءًا من إبراهيم ومرورًا بيعقوب وأبنائه وموسى وهارون حتى نبيه شمويل؛ فاشكروا لله واحمدوه واعلموا أن الله له أمر هو قاضيه؛ فابشروا

واسعوا أن يكون لكم قدر في إحقاق مشيئة الله في أرضه وغلبة حقه على الباطل، عسى الله أن يورثكم الأرض من بعد أعدائكم وينصركم عليهم ويجعلكم أئمة الأرض. ابتهلوا له وأخلصوا نواياكم واسمعوا وأطيعوا تنالوا شرفي الدنيا والآخرة.

أحد بني إسرائيل: يا ملكنا، إنَّا أوذينا ونال منا الجوع والعطش فادع الله يفرج ما ألم بنا.

طالوت: يا بني إسرائيل، إنها جنة أبدًا أو نار أبدًا؛ فلا تتعجلوا أمركم، وإن الله سيمحص الصابرين الصادقين. إن الله مبتليكم بنهر سنمر عليه في سيرنا، وإنه محرم عليكم الشرب منه إلا من غرفه باليد، فمن غلب نفسه فهو على غلبة العدو أقدر، ومن هزمته رغبته فليس مني ولن يقاتل معي عدوًّا.

وفي أثناء سيرهم كان هناك شاب صغير يافع جميل أزرق العينين بهي الطلة طاهر القلب ونقيه، يبتهل بصوت رخيم تتعجب منه الخلائق، وسمعه طالوت ذات يوم فتحدث إليه.

طالوت: من الفتى؟

داوود: داوود بن إيشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن أرم بن حيصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن الخليل ابراهيم.

طالوت: ما أحلى صوتك وأشجاه!

داود: من نعم الله علينا.

طالوت: ألست حديث السن لخروجك معنا؟

داود: لا يمنعني سني من خروجي عسى أن أقتص من الأعداء أو ألقى ربي.

طالوت: وما سلاحك الذي تجيد استخدامه في الحرب؟

داود: هذا هو.

طالوت: مقلاع؟!

داود: نعم.

طالوت: أوَ تجيده؟

داود: لا أخطئ هدفي.

طالوت: لا تجتمع الشجاعة مع الإيمان في قلب أحدهم إلا نصره الله. لعل الله يجعل لك شأنًا. سألقاك عما قريب. هيا تجهز لستكمال المسير.

داود: أمر مولاي.

(٤)

في صباح اليوم التالي جاء أحمد ومعه ما لذ وطاب، وأفطر مع عم حمزاوي وأعطاه الدواء، ولمح تحسنًا ملحوظًا على صحته، وابتسامة شكر وعرفان لا تغادر شفتيه.

أحمد: بينا يا عم حمزاوي.

عم حمزاوي: على فين يا ابني؟

أحمد: أول حاجة هنروح نعمل التحاليل اللي الدكتور عايزها، وبعدها هاخرجك خروجة عسل.

عم حمزاوي: كان إيه لزمتها التحاليل دي بس؟ ما انا بقيت كويس أهو، هي كتر مصاريف؟ أنا تقلت عليك قوي يا ابني..

أحمد: إيه الكلام ده بقى؟ ما تزعلنيش منك، مش انت بتقول ابنك؟

عم حمزاوي: آه والله يا ابني

أحمد: يبقى خلاص سيبك من الكلام ده وبينا ع الفسحة.

عم حمزاوي: وانا بتاع فسح برضو؟

أحمد: دي مش أى فسحة، هنروح نزور.

عم حمزاوي: الله الله! مدد يا الله مدد!

وأخذت الجولة منهم النهار بطوله من الحسين للسيدة نفيسة والسيدة زينب والسيدة عائشة، وختموها بالإمام الرفاعي بناء على رغبة عم حمزاوي.
عم حمزاوى: أهل البيت زيارتهم مودة وصلة لحبيبنا النبي، وكمان أهل الله بنودهم علشان ينوروا لنا السكة ولعلنا نحشر معهم وربنا يجمعنا بمن نحب. وبعدها أوصله أحمد لمنزله وهمَّ بالانصراف.
أحمد: إنت تعبت النهاردا؛ أسيبك تريح بقى، وبكرة إن شاء الله أعدي عليك، بس بعد الجامعة علشان عندي مقابلة مهمة مع الدكتور المشرف على رسالتي.
عم حمزاوي: لو كان في العمر بقية.
أحمد: ربنا يبارك فيك وفي عمرك. تؤمر بحاجة؟
عم حمزاوي: ما يؤمرش عليك ظالم. تعالى يا ابني افتح الدولاب دا وطلع الصندوق اللي فيه وخده وانت ماشي.
أحمد بعدما يفتح الدولاب في ذهول،
احمد: إيه الصندوق دا؟ كنز؟
عم حمزاوي مبتسمًا: آه يا ابني كنز، خده معاك، وخد بالك منه، وخد منه بالراحة. أنا اديتهولك علشان عارف روحك وقلبك وعلشان الحاجات دي ما تروحش لحد مش فاهمها أو حاسس بقيمتها. أنا طول عمري بلم فيه، حافظ عليه وعلى نفسك.
أحمد: طب قل لي بس، فيه إيه؟
عم حمزاوي: خده معاك بس، وبكرة هتعرف، كله بأوان يا ابني، ما تستعجلش الرزق. تعالى يا ابنى، قرب؛ عايز أرقيك.

أحمد جالسٌ بين يدي عم حمزاوي، وسمعه يقول: اللّٰهُمَّ هذا صاحب عهدك وأنت أعلم منى به؛ فأعنه وقوِّه ومده بالقوة التي يتحمل بها أحكامه وأعرافه ولا تجعل للظالمين عليه سبيلًا...

وغاب فص سبات عميق وأفاق على يد عم حمزاوي توقظه من سباته الغريب الأقرب للغيبوبة.

عم حمزاوي: يلا اتكل علي اللي خلقك وروح في تاكسي ونام كويس علشان يومك طويل بكرة.

خرج أحمد ناظرًا بذهول لعم حمزاوي دون أن ينطق.

في صباح هذا اليوم يشعر أحمد بشيء في صدره قلق غير مبرر، استعاذ من الشيطان الرجيم وذهب للجامعة وأنهى مقابلته وذهب لعم حمزاوي، ودخل عليه لأن الباب كان مردودًا كالعادة، وإذا به غارقٌ في سباته مثلما تركه بالأمس وإذا الروح قد غادرت الجسد وفاضت لبارئها.

أحمد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدًا رسول الله.

أخذت تصريحات الدفن وصلاة الجنازة والدفن والعزاء باقي اليوم، وأحمد في أسى شديد يسترجع ذكريات اليومين الماضيين «بكره عندك يوم طويل» وكأنه كان يعلم أنه راحل.

وسرح في كل الأحداث ولم يقطع شروده إلا صوت ينادي عليه: يا أستاذنا، أنا امبارح بالليل عديت على عم حمزاوي أطل عليه، قال لي إنك نسيت عنده المفتاح ده ووصاني أديهولك، اتفضل.

أحمد في ذهول: أنا؟!

- مش انت الأستاذ أحمد اللي كنت عنده امبارح؟

أحمد: آه، متشكر جدا معلش اليوم كان طويل والواحد مش مركز.

أخذ أحمد المفتاح في ذهول وواصل صمته حتى انتهى العزاء وذهب لبيته، نام بملابسه من أثر تعب أحداث اليوم.

(٥)

أوشك بنو إسرائيل على الوصول إلى الأعداء وعبور النهر وإذا بداود يلتقطت بعض الأحجار من الطريق.

رجل من بني إسرائيل: ماذا تفعل يا داود؟

داود: لا أدري، لكن الأحجار كلمتني.

رجل من بني إسرائيل: أجننت يا فتى؟! أي أحجار تلك التي تكلمك؟!

داود: أقسم لك.

رجل من بني إسرائيل: وماذا قالت لك؟

داود: قالت الأحجار الثلاثة: احملني معك؛ فبي تقتل جالوت.

رجل من بني إسرائيل: أخشى أن تكون شمس الطريق أصابتك بشيء.

داود: إني بخير، ولكنك لن تصدقني.

رجل من بني إسرائيل: بالأمس القريب تخبرني عن رؤيا بأنك ترتدي تاج الملك، واليوم تقول أن الأحجار أخبرتك أنك تقتل بها ملك العماليق، أي هذيان هذا؟!

داود: لا تعبأ بي، وانظر ماذا أرى، أهذا النهر الذي أخبرنا به ملكنا طالوت؟

رجل من بني إسرائيل: على ما يبدو ذلك.

داود: يا ويلنا، انظر إلي القوم، هرعوا إليه، ألم يحذرهم ملكنا من الشرب منه؟
رجل من بني إسرائيل: نعم، ولكنه سمح بغرفة باليد، هيا نغترفها.
داود: كلا، لن أغترفها.
رجل من بني إسرائيل: لماذا؟ لقد سمح بها الملك.
داود: نعم، لكني لا أريد أن أحوم حول الشبهة، ألا ترى الناس يكادون أن يلقوا بأنفسهم في النهر من فرط ما شربوا؟ فليغفر الله لهم! إنه غفور رحيم.
رجل من بني إسرائيل: أترى ما أرى؟ نبي الله يصف من لم يشرب ومن اغترف غرفة واحدة بيده ويأمر الباقين بالرجوع من حيث أتوا.
داود: نعم، هكذا قال من قبل: من شرب منه فليس مني.
رجل من بني إسرائيل: لكنا أصبحنا قلة قليلة؛ كيف لنا أن نحارب العماليق.
داود: اعلم يا أخي أن العزيز من أعزه الله وأن الذليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع الخذلان ولا تضر القلة مع النصر ومن يكون عليك إذا كان الله معك؟
وقبل التقاء الجيشين خطب طالوت في الجنود محرضًا إياهم على القتال.
طالوت: يا بني إسرائيل يا جنود الله، أتى الوقت الذي طالما انتظرتموه. هذا عدوكم أتى لتنالوا منه، فلا تخشوا إلا الله وانصروه ينصركم.
رجل من بني إسرائيل: ولكن ألا ترى قلة أعدادنا؟
رجل من بني إسرائيل: وكثرة أعدادهم وقوة أجسادهم؟
رجل من بني إسرائيل: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده.
داود: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

رجل من بني إسرائيل: أتظن أننا نغلبهم؟

داود: نعم، إن الله مع الصابرين.

طالوت: يا جنود الله، بارك الله فيكم وأعانكم على أعدائكم! ومن يقتل جالوت أزوِّجه ابنتي وأشركه في الملك.

داود: ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الظالمين!

فلما تواجه الجيشان برز جالوت في طلة مهيبة ودعا أشجع الفرسان لقتاله ولكن بني إسرائيل خشوا من فرط قوته، من يذهب لقتاله مفقود لا محالة، فتقدم داود لقتاله

جالوت: من أنت أيها الفتى؟

داود: أنا داود.

جالوت: ارجع فإني أكره أن أقتلك.

لم يتحدث وأخرج المقلاع والأحجار الثلاثة وأخذ يديرها حتى أصبحت وكأنها حجر واحد ورماه بها فصرعه وشج رأسه؛ فانهار جيش العماليق وانتصر جيش طالوت.

واشتهر أمر داوود ورفع على الأعناق والتف حوله الناس؛ فقد أخذ بثأرهم من العماليق.وأوفى طالوت بعهده وزوجه ابنته وشاركه في ملكه، وآل إليه التابوت المقدس.

عاد بنو إسرائيل إلى سابق بغضهم لملكهم واستهانوا بأمره، ورفعوا شأن داود وعظموه مما أدخل البغضاء في قلب طالوت وجن جنونه.

أصبح طالوت يبغض داود حتى أنه كان يقتل كل من يذكره بخير أو يدافع عنه، حتى أنه فكر في قتله مرارًا ولكن باءت المحاولات بالفشل، واستقبل داود كل هذا بصدر رحب وذهب لزيارة طالوت.

داود: سلام العالمين على ملك بني إسرائيل الذي اختاره لنا الله.

طالوت: وعليك السلام. تفضل.

داود: اعذرني على الزيارة المفاجئة، لكني رأيت استبطاءً في اللقاء، وخشيت أن أكون مقصرًا في حق ملك كنت جنديًا من جنوده، وأب أصبحت أحد أبنائه، وأتمنى أن أجد نفسي عندك بنفس المنزلة.

طالوت: نعم، نعم، إن شاء الله.

داود: لما آل إلينا التابوت، وتبحرنا في التوراة، ووقفنا بأعتاب الله، وصرنا نخشاه كأننا نراه، ازداد حبنا لك ولكل عباد الله، وازداد حرصنا من الشيطان ومداخله التي تفرق بين الإخوة، كما فعلت بأبناء أبينا آدم وجعلت قابيل يقتل أخاه هابيل، ولن أقول لك إلا كما قال هابيل لأخيه: لإن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين.

فتاب طالوت إلى ربه وبكى حتى بلل الثرى وطلب العذر من داود والتوبة من الله، وتنازل لداود عن الحكم وأخذ الذكور من أبنائه وخرج مجاهدًا في سبيل الله راجيًا من الله أن يتقبلهم شهداء وأن يجعل موته في سبيل الله معذرة له عما حاق بقلبه وأن يدخله في رحماته.

لم يفرح داود بتفرده بالملك بل ازداد زهدًا في الدنيا وتقربًا إلى الله؛ عسى أن يعينه على العدل وحسن القضاء بين الناس.

وفي أحد الأيام جلس على أحد الجبال يتلو من المزامير التي أنزلها الله عليه بصوته الرخيم الذي وهبه الله إياه وأخذ الجبل يسبح معه، والتفت حوله الوحوش والهوام والطيور والجن كأن حركة الكون توقفت وأصبح المتنفس يخشى أن يقطع صوت نفسه هذا السيل المنهمر من الابتهال الذي يشبه العزف على النايات أو أروع. أخذ داود قطعة من الحديد بين يديه أثناء تلاوته فإذا بها تلين كأنها شيء من عجين وإذا بها تتشكل بيديه كيف يشاء، فتعجب من الأمر فإذا برسول السماء « جبرائيل » يبعد عنه القلق ويخبره أن هذه إحدى هبات الله إليه، أن يلين الحديد بيديه دون النيران أو المطارق، فظل لياليًا قائمًا في محرابه منقطعًا عن الناس من حوله شاكرًا الله على هذه الخاصية التي اختصه الله بها وكان جل دعائه:

«اللّٰهُمَّ هب لنا منك سرًّا بالأسرار مسرورًا يا الله، اللّٰهُمَّ اكشف لنا أسرار المنع والجواز يا الله، اللّٰهُمَّ اجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا يا الله، اللّٰهُمَّ افتح مسامع قلوبنا وجميع جوارحنا لذكرك وشكرك يا الله، اللّٰهُمَّ أزل عن قلوبنا وأبصارنا وبصائرنا ظلمة الحجب يا الله، اللّٰهُمَّ خذ بأيدينا في المضايق واكشف لنا وجوه الحقائق يا الله، اللّٰهُمَّ اكشف عنا حجب الظلمة ونورنا ونورني بنور ما أظهرته لعبادك أهل القلوب الطاهرات يا الله، اللّٰهُمَّ يا عجيب الصنائع؛ فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه ونعمائه يا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة ورجائي حين تنقطع حيلتي، يا الله، اللّٰهُمَّ ارزقني القوة والتمكين والفتح المبين يا الله، اللّٰهُمَّ اكسني من نورك وعلمني منك وفهمني عنك يا الله، اللّٰهُمَّ يا باعثًا املأ

قلبي بنور معرفتك واغمر نفسي باليقين التام يا الله، اللّٰهُمَّ افتح لنا أقفال قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين يا الله، اللّٰهُمَّ يا مزيح براقع الظلام بالنور التام ويا كاشفا عن القلب حجب الران بظهور شمس العيان، اكشف عن قلبي وبصري وبصيرتي الحجب والموانع لأشاهد وأتفكر في جمال صنع ملكك وملكوتك لأزداد إيمانًا ويقينًا بك يا الله، اللّٰهُمَّ اجعل شمس معرفتك مشرقة على أركاني وفؤادي وأحسن خاتمة أجلي عند غروب شمس روحي من جسدي يا الله، يا نور يا برهان يا مبين يا منير يا رب اكفني شر الشرور وآفات الدهور وأسألك النجاة يوم ينفخ ملك الصور يا الله، اللّٰهُمَّ أفض عليَّ سحائب ذاتك فيضًا مدرارا وامنحني من إحسانك في ظلمات ليلي نهارا ومن عظيم أفضالك أنهارا ومن خزائنك المصونة أسرارا ومن مشكاتك المقدسة أنوارا يا الله، اللّٰهُمَّ اجعلني ممن رفعت له بين البرية مقدارا و ثبتني يوم يكون الناس سكارى وما هم بسكارى يا الله، اللّٰهُمَّ فجر ينابيع مياه أسرارك في قلبي وصير لها سماءً وأرضًا وهب لي من المعارف واللطائف ما أقنع به وأرضى من الثبات على الإيمان يا الله، اللّٰهُمَّ اجعلني ممن أوى إلى حصن منيع وركن شديد بصحبة الرفيق الرشيد وآتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا يا الله، اللّٰهُمَّ اجعلني طريقا موصلا يهتدي به كل سائل واكشف لي حجب الموانع والحوائل فلا أشهد سواك وأكون ممن امتثل لأمرك ونواهيك يا الله، اللّٰهُمَّ منَّ عليَّ بيقظة الفؤاد وارفع عن عين قلبي غطاها وغشاها لتشهد الأشياء على ما هي عليه عيانا وتدرك ذلك كشفا وإيقانا مع التثبيت والتمكين يا الله، اللّٰهُمَّ أشرق

عليَّ من أنوارك القدسية وأفض على قلبي من أنوارك العلية مددا يقربني منك يا الله، أستغفرك يا الله من جسد تكاسل عن القيام بحقك ومن قلب تشاغل عن معرفة حقك يا الله، اللّٰهُمَّ الزمني محراب حبك والانشغال بك يا الله، اللّٰهُمَّ إن العلم عندك وهو عني محجوب فارزقني علما لدنيًّا من عندك ينفعني وأنفع به غيري ابتغاءك وحدك يا الله يا الله يا الله.

ولم ينه دعاءه إلا عندما استشعر قدوم وزيره «برخيا» الذي كان يتولى الأمور في خلواته وكان أمين التابوت، فأنهى دعاءه خشية أن يكون هناك أمر جلل.

برخيا: السلام عليك يا نبي الله.

داود: وعليك وعلى آلك السلام يا برخيا.

برخيا: طالت غيبتك يا نبي الله، أيام وليال وأنت منقطع دون زاد، زودك الله التقوى. لقد أتيت إليك ببعض التمرات وقليل من الماء.

داود: كثرة الطعام تثقل الأبدان.

برخيا: نعم، الكثرة، لكن القليل منه الذي يقيم البنيان لا بد منه.

داود: أخبرني أمين الوحي أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب.

برخيا: ولكننا بشر وأجسادنا تضعف وسيدي يرهق نفسه بكثرة الصيام والقيام.

داود: إنها النعم يا برخيا التي لا تعدُّ وتستوجب شكر المنعم، منَّ عليَّ المولى بنعمة أخرى لا أعلم كيف أشكر الله عليها

برخيا: وما هي؟!

داود: ألان الله لي الحديد وطوعه.

برخيا: لله الفضل والمنة

داود: أرأيت؟ ألا أكون عبدًا يستحق النعم ويشكرها.

برخيا: بارك الله في نبينا الكريم.

داود: اشتدت حيرتي يا برخيا، كيف لي أن أستغل هذه النعمة فيما ينفع الله به الأمة؟

برخيا: يُقتل منا الكثير في الحروب يا مولاي، فلو أذِنَ الله أن تصنع دروعًا للمقاتلين، سينتفع بها المجاهدون ويقل عدد القتلى.

داود: نعم الرأي يا برخيا، لقد منَّ الله عليَّ بك خليلًا أمينًا معينًا حافظًا للسر كاتبًا للوحي حافظًا للعهد، أدامك الله لي يا صديقي.

برخيا: بارك الله في نبينا وجعله ذخرًا لنا، إنما هي منة من الله أن اخترتني لهذا واستأمنتني عليه، أعانني الله على ما استخدمني فيه، وسدد خطاك، إليك ببعض الطعام ليتقوى بدنك على

العبادة، تفضل يا نبي الله.

داود: تكفيني ثلاث تمرات ومزقة ماء، بسم الله.

وبعد أن تناول بعض التمرات قام نبي الله إلى الصلاة وتبعه جدك الأكبر برخيا، وظلا في صلاة وصيام حتى الصباح حينما أذن نبي الله لوزيره بالخروج من المعتكف ليتولى الشؤون.

(٦)

وكانت البداية أن استيقظ أحمد ويده قابضة على المفتاح.

الحال كما هو دائمًا: نهاية اليوم بداية الغد، ونهاية قصة بداية لأخرى، فنحن نسعى في سلسلة لا نهائية من النهايات والبدايات المتلاحقة، وكأنها فرص ربانية للتغيير.

أحمد مخاطبًا نفسه: الله يرحمك يا عم حمزاوي، يا ترى مخبي لي إيه ف الصندوق؟

وأخذ يتفحص الصندوق والمفتاح مليًّا، وقام بفتحه ودقات قلبه تتصاعد، وإذا بمجلد ضخم اسمه السر الأعظم «العهد» واضح من شكله العام أنه من كنوز الكتب.

أحمد: ممكن جدا يساعدني في موضوع البحث بتاعي. الله يبارك فيك ويرحمك يا عم حمزاوي. بس خليه على جنب شوية أما نشوف فيه إيه كمان، إيه ده؟! أوراق وملفات وعقود شرا، غريبة! ما لي أنا ومال الحاجات دي؟ ويطلع مين دا «علي الدمراوي» اللي اسمه على كل الأوراق؟ وإيه دا كمان؟! دي أجندة مذكرات علي أفندي، وادي قعدة، أما نشوف إيه الحكاية.

أنا علي الدمراوي، ابن محمود أحمد الدمراوي الوحيد، التاجر المعروف الذي انتقل بحكم عمله وتطلعاته من إحدى قرى الوجه البحري إلى القاهرة بهدف التوسع في تجارته التي نماها وكبرها حتى أصبح علمًا بين التجار، وابن

السيدة سمية أحمد، من أسرة بسيطة لم أعرف منها سوى خال طيب كان يأتي بين الحين والآخر يطمئن على أخته ويتحسس أخبارها، وأذكر يوم جاء أمي خبر وفاته أن بكته كثيرًا وقالت الآن أصبحت مقطوعة من شجرة.

وكما ورثت عن أبي صفاته الجسدية ورجاحة عقله وحبه للتجارة ورثت عن أمي طيبتها وحنانها وارتباطها بالله وكثرة ذكرها له، لما كنت ابنها الوحيد فقد صمم أي أن ألازمه في كل تحركاته حتى أتعلم بواطن أمور العمل وخبايا السوق وكان يفرط أحيانًا في القسوة عليَّ خشية أن أخيب ظنه أو أن أضيع ما يبنيه، وبالفعل شببت وشربت طبعه وولعه بالتجارة، بل كما يقولون تفوق التلميذ على أستاذه بحكم دراستي للتجارة وإدارة الأعمال وزادت تطلعاتي وولعي بالحياة العامة لدرجة بدأت أمي تخشى عليَّ من انخراطي في هذه الحياة ونسياني لنفسي ووحدتي العامة رغم شدة انشغالي، لكن لم تكن لي حبيبة أو أصدقاء، ففي رأيي أنهم يحتاجون الوقت وأنا لا وقت عندي لهذا الكلام الفارغ، وحينما زاد إلحاحها عليَّ للزواج وأخذها عليَّ العهود والمواثيق بأن أريح بالها قبلما تقابل وجه كريم، أخذت في البحث الجاد عمن يساعدني ويدعمني في طموحاتي ووجدتها، إنها «نور مهدي محمود»

نعم، ابنة الوزير الشهير مهدي محمود. وجدت فيها ضالتي فهي حسب ونسب، مال وجمال وإن كنت لا أحتاج مالها ولا يعنيني جمالها لكنها كانت تمثل بالنسبة لي دفعة اجتماعية كنت أحتاجها في هذا التوقيت بالذات؛ فقد كنت أحتاج للسلطة بجوار رأس المال لتكتمل بداخلي السيطرة، وفعلا تم زواج أسطوري كان حديث الساعة وقتها، ورزقت منها بولد وبنت

كأنهما ملاكان من الجنة. وسارت حياتي من نجاح لنجاح لم يحزني خلالها غير وفاة أبي وأمي اللذين كانا يمثلان لي الجناحين اللذين أحلق بهما: جناح العقل وجناح القلب. حقيقة لقد أثر فيَّ موتهما شديد الأثر، لكني سرعان ما عدت لحياتي العملية الرتيبة.

وفي هذه الأثناء رشحت نفسي لمجلس الشعب وتألقت كعادتي.

ثم ماذا؟

هل تستقيم الحياة هكذا؟

هل سيستمر هذا الشعور: شعوري بالملكية والسيادة والزهو والفخر؟ كلا، إن هذا يتنافى مع دونيتها، فلا تستقيم لأحد ولو استقامت بعض الوقت فذلك أحد سبل خداعها لنا، ففي قمة إحساسي بالتفرد صفعني القدر من حيث لا أدري ولا أحتسب.

انقلبت السيارة بولديَّ الحبيبين، قرة عيني في إحدى رحلاتهم الداخلية. كنت كالمذهول، حاولت تسخير كل أموالي ونفوذي لاسترادادهم ولكن أنَّى لي هذا وقد نفذ السهم وأصابهما؟ أظلمت الحياة في وجهي وتركت عملي لغيري يديره واستقلت من المجلس وطلقت زوجتي بناءً على رغبتها، فوجدت نفسي وحيدًا لا أب ولا أم، لا أخ ولا أخت، ولا صديق يشدد أزري.

ما شعرت به وقتها من أسى لم يشعر به غيري. كنت كالريشة في مهب الريح، لا حيلة لي ولا قدرة على المقاومة. جربت كل الحيل والمهدئات والمسكرات لعل أحدهم تسكن ما ألمَّ بي، ولكن أنَّى لي هذا وألم الروح لا دواء له؟ أصبحت لا أنام إلا دقائق خاطفة وأهيم بعدها في الشوارع.

وفي أحد الأيام وأنا على هذه الحال انتابني الإعياء فجلست أستريح ورأيت أطفالًا يلعبون، فتذكرت أبنائي فانتابتني موجة من البكاء العارم ولم أهدأ إلا بعدما جاء أحدهم وجلس بجانبي وقال لي: ما لك يا ابني فيك إيه؟ سلم أمرك لله وارضى بقضاؤه علشان يرضى عليك.

ونزل الكلام بردًا وسلامًا على قلبي، وجففت دموعي ونظرت للسماء: يا رب ارزقني الرضا.

واقتادني الرجل إلى أحد المساجد للصلاة قائلًا: قوم معايا، الصلاة هتريحك وتهديك. قلت: يااااااااااه! الصلاة بقالي كتير قوي ما ركعتهاش، يا ترى هينفع؟ رد قائلًا: وهو إمتى قفل بابه.

ودخلت المسجد وتوضأت وصليت كما لم أصل من قبل، ووجدت ضالتي، ولزمت المسجد ونمت كما لم أنم منذ شهور، وبعد أن مرت أيام رأيت أبنائي في المنام: اتأخرت كدا ليه يا بابا؟ إحنا مستنينك من بدري، ما تسيبناش تاني بقى، إحنا مشينا علشان كنت مشغول عنا، لكن خلاص طالما رجعت هتشوفنا كتير، بس ما تمشيش تاني.

وعرفت أنها علامة تشير إلى أن هذا المكان هو مكاني، وفعلا بحثت عن مكان بسيط أعيش فيه وعلى عمل بسيط آكل وأدفع أجرة السكن منه وها أنا أنتظر الرحيل إليهم.

ووصلني الله به وبآله وكأني وجدت ما خلقت له منذ زمن بعيد ووقر في نفسي أن لي رسالة في هذا المكان، وبالفعل وصلت الرسالة وتسلمتها وها أنا أسلمها لك، واخترتك على جهلي وضعفي وأرجو أن لا تخذلني في ذلك

وتكمل الطريق وتسير على العهد ولا تبدل الطريق، وأدعو الله لك أن تنجح في الامتحان.

هل كتبت لك هذا الكلام؟

نعم كتبته لك يا من تقرأ الآن.

لقد تركت لك أمانة ومسؤولية

وهمًّا وحملًا تقيلًا. نصيحتي لك:

انتبه لنفسك وإياك والغرور؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري؛ فمن نازعني أحدهما قسمته ولا أبالي.

لديك الدنيا خذ منها قدر ما يكفيك؛ لأنك كلما زاد حملك عجزت عن السير.

أنت حر في اختيارك، أعانك عليه الله.

والسلام ختام

الفقير إلى الله

حمزاوي

علي الدمراوي سابقًا.

أحمد يكاد يغشى عليه من هول المفاجأة: معقول اللي بيحصل دا؟ أنا مش مستوعب اللي بيحصل، وإيه دا كمان اللي ف الظرف دا؟

أوصي وأنا في كامل قواي العقلية إلى حامل هذه الرسالة بجميع ممتلكاتي وأرجو حسن التعامل معه.

علي محمود الدمراوي

ظل أحمد باقي يومه في محاولات مستميتة لتجميع أفكاره واستيعاب الأمر الجلل الذي هو بصدده:

معقول! عم حمزاوي يطلع وراه السر الخطير ده! ولا كان باين عليه، طب وبعدين؟ العمل إيه في الورطة دي؟

وفرض كل الافتراضات:

- يجرى إيه لو تجاهل الأمر تمامًا ولا كإن حاجة حصلت؟ دا حل عظيم. أورط نفسي ليه في حوار ما ليش فيه؟ والشيلة دي شكلها تقيلة قوي وانا ما ليش فيها. أنا طالب ولسه الدنيا قدامي وانا هحقق أحلامي واحدة واحدة، أيوه، هو ده الكلام اللي لازم يحصل.

لا، كلام إيه الفارغ ده؟ دي فرصة العمر. واضح إن عم حمزاوي سايب مبلغ محترم يساعدك على بداية حياتك، إنت يعني كنت هتبدأ ازاي أما تخلص الماجيستير ؟ ولا فاكر إن موهبتك ما حصلتش والجرايد ودور النشر هتخطفك وهيتخانقوا عليك؟ يا ابني انت كنت هتناضل علشان تكتب في جريدة معروفة ولو لعب لك الزهر دار نشر تنشر لك رواية ولا ديوان وانت وحظك، يا صابت يا خابت. إنت عاقل ودماغك حلوة، ممكن تستغل الفلوس دي وتعمل دار نشر وجريدة، ولو الفلوس كتير شوية ممكن تعمل قناة تليفزيونية، إنت هتتصرف صح والدنيا هتظبط معاك وتتجوز مريم البنت الوحيدة اللي حبيتها واللي ما كنتش تحلم ترتبط بيها علشان الفروق اللي بينكم، وأهي تبقى اتحلت من السما وربنا استجاب لدعواتك. هو دا الكلام مش تقول لي انسى، انسى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إيه يا احمد؟ إنت نسيت نفسك، أحلامك ومبادئك؟ إيه اللي جرى لك؟ فين أحلامك وتحدياتك والعهد اللي انت واخده على نفسك وطريق الوصل اللي ابتديته؟ في ثانية عينك زاغت؟ ارجع يا ابن عبد البر، الراجل اختارك واستأمنك وحذرك من الشيلة وانت عايز تتقلها على نفسك ليه؟ قوم اتوضا وصلي لك ركعتين وادعي إن ربنا يلهمك تعمل إيه بدل الحيرة اللي مغرقاك دي.

وبالفعل قام أحمد وصلى ركعتين واستمر في دعاء طويل طالبًا التوفيق والنجاة والسداد والإلهام و... وما فتح الله عليه من دعاء ومناجاة، فأحمد ذو حظ وافر من القرب والوصل بالله لعل الله يهديه السبيل، ثم شعر برغبة ملحة في النوم، فما يشعر به الآن كان جبالًا يحملها على عاتقيه، وهذه الأيام لا يعلم طولها وأحداثها إلا الله سبحانه وتعالى، فعمد إلى فراشه في انتظار صباح جديد يحمل معه النجاة.

(٧)

ظل «برخيا» وزيرًا مخلصًا عند حسن ظن نبي الله به حتى وافته منيته حينما زارته ملائكة السماء داعية إياه للقاء الرحمن الرحيم، وصعدت روحه النقية ملبية النداء، وودعه ملكه وداع الأخ الحنون الحزين على فراق رفيقه، ونقل وزارته لابنه «آصف بن برخيا» ولده الكريم، الذي ظل على عهد أبيه مخلصًا أمينًا محافظًا على العهد وعلى الاسم الأعظم الذي لا يُغلق أمامه بابٌ ولا يرده ملك ولا تعوقه سحب. وكان كاتب المزامير ووحي السماء، ولما كان من صفاته سالفة الذكر وبعدد مرور أعوام على توليه وزارة نبي الله داود، أرسل داود في طلبه قبل صعوده إلى خلوته.

آصف بن برخيا: السلام على مولاي.

داود: وعليك سلام الله ورحماته.

آصف بن برخيا: هل أرسل مولاي في طلبي؟

داود: نعم، اجلس يا بني. لما كان من سابق عهد بيني وبين أبيك، ومن حاضر عهد بيني وبينك، وجدتك لا تخطئ صفاتك صفاته، فإنما هي شجرة مباركة ذات بذور صالحة وشديدة البأس، تجعل الفروع قوية راسخة مثمرة.

آصف بن برخيا: لله الفضل والمنة ولنبينا الإحسان.

داود: يا بني، إن أجل الله لآتٍ

آصف بن برخيا: اللّهُمَّ بارك في أعماركم وأطل فيها.

داود: فالتسمع ولتعِ ولتكتم كما عهدتك.

آصف بن برخيا: أمر مولاي.

داود: إن بني إسرائيل قوم جدل وخلاف، فلربما اختلفوا على نبيهم بعدي، ولربما اختلف أبنائي أيهم يتولى حكم بني إسرائيل، لكن الله مرسله بآية، فكن له عونًا كما كنت لأبيه واشدد أزره كما كان هارون لموسى؛ فالأنبياء والملوك يحتاجون للبطانة الصالحة التي تعينهم على أمور دينهم ودنياهم، فكن له الوزير والناصح والمعين.

آصف بن برخيا: إنه ليشق عليَّ فراقك يا مولاي؛ فلطالما كنت لي الأب والمعلم والهادي في ظلامات الضلالة، لكن ليقض الله أمرًا كان مفعولًا ولنلتقي في الجنان حين يأذن الله.

داود: يا بني، إني معلمك كلمات فاحفظهن عني، حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدونه عن نفسه، وساعة يختلي بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات واستجمام للقلوب. وحق على العاقل أن يعرف زمانه

ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده، ومرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم.

آصف بن برخيا: بارك الله فيك يا نبي الله، لقد شقت هذه الكلمات قلبي واستقرت فيه لن تبرحني حتى ألقى ربي.

داود: حسنا، سأصعد الآن إلى محرابي وليحفظكم الله وليعينكم على طاعته وحسن عبادته.

آصف بن برخيا: تصحبك السلامة يا مولاي.

وبينما كان نبي الله يتعبد وحوله مخلوقات الله من إنس وجن وطير ووحوش يسبحون بحمد الله وينصتون لنبيه إذ دخل عليه جبرائيل ومعه رجل مهيب الهيئة.

جبرائيل: سلام الله عليكم آل البيت.

داود: وعلى روح السماء السلام.

جبرائيل: كيف حالك مع الله؟

داود: أدعوه وأرجوه وأخشاه.

جبرائيل: إن معي ضيفًا يريدك.

داود: ومن يكون؟

جبرائيل: هو الذي لا يهاب الملوك، ولا يمنعه حجاب.

داود: أنت والله ملك الموت، مرحبًا بأمر الله.

ملك الموت: يا نبي الله، قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق.

فسجد داود، وقبضه ملك الموت في سجوده وارتقت روحه الطاهرة إلى السماء، ونزل الخبر على بني إسرائيل كالصاعقة، وحزنوا حزنًا شديدًا، وخرج الآلاف لتشيع جسده الطاهر إلى المثوى الأخير الذي لا تبديل له ولا تحويل.

(٨)

استيقظ أحمد وحالة من السكينة تعتريه، بعد هذا الصراع الداخلي الذي مر به أمس اتخذ القرار الذي يعتقد أنه الصحيح، وابتسم ابتسامة الرضا ثم قام وتوضأ وصلى وارتدى ملابسه وأخذ يفتح صندوق عم حمزاوي وأخذ يستخرج بعض الأوراق: أوراق الملكيات، الوصية.

- طب وفين عنوان المحامي؟ كان هنا. لقيته، أيوه هو دا: شريف بركات. كدا كله تمام. توكلت على الله.

وأخذ طريقه كما هو موضح في العنوان.

وفي غضون الساعة كان في العنوان المطلوب، واستوقفه موظف الأمن مدونًا بياناته، ومرشدًا إياه إلى السكرتارية، توجه إلى إحداهن فاستقبلته بابتسامة،

السكرتيرة: تحت أمرك يا فندم، أقدر أساعدك؟

أحمد: ممكن أقابل أستاذ شريف بركات؟

السكرتيرة: فيه معاد سابق؟

أحمد: لا للأسف، بس أنا عايز أقابله ضروري جدًا.

السكرتيرة: حضرتك ممكن تقابل حد من اصطاف المحامين وتشرح له الموضوع وهو هيرد على حضرتك.

أحمد: لا أنا عايزه هو شخصيًا.

السكرتيرة: تمام يا فندم، ممكن تديني بياناتك وتليفونك وسبب الزيارة،وامَّا الأستاذ شريف يحدد معاد هتصل بيك.

أحمد: ودا هيكون في خلال قد إيه؟

السكرتيرة: والله جدول المواعيد زحمة جدًّا، ممكن بعد شهرين.

أحمد: نعم! بتهزري أكيد.

السكرتيرة: لا يا فندم أنا بتكلم جد.

أحمد: خلاص، أنا مش همشي من هنا لحد ما أقابله.

السكرتيرة: حضرتك تشرف بس ممكن تستنى وما تقابلوش، ما تزعلش وقتها. اتفضل استريح وخد drink.

وانتظر أحمد قرابة الخمس ساعات تخللتها عدة استفسارات من:

هيقابله إمتى؟ وهيستنى كتير؟

كانت هذه الساعات فرصة لأن يكتشف أحمد حجم المكان الذي يجلس فيه.

هذا ليس مكتب محاماة كما تخيل لكنه مؤسسة كبيرة، موظفون أمن، وموظفون استقبال، عشر سكرتيرات يحلون من على حبل المشنقة، والطابق الثاني به أسطول من المحامين الذين يعاونون الأستاذ شريف في القضايا والأوراق والتفاصيل التي يترفع عن القيام بها، لا، وهناك أيضًا مكتب محاسبين؛ طبعا، هل سيحاسب الناس بنفسه؟

أحمد: موديني فين يا عم حمزاوي؟

لم يكتف أحمد بدراسته للمكان، اتجهت أنظاره إلى السادة الحضور، هم

صفوة المجتمع.

- شياكة إيه وجمال إيه! والبرفانات اللي بتهفهف!

تعرف على بعضهم، فهذه فنانة مشهورة، وهذا وزير سابق، وتلك التي تجلس هناك لا يعرف اسمها، ولكنها ممن يظهرون على شاشة التلفاز، يتحدثون عن حقوق الإنسان؟ واعتقد أن الباقين لا يقلون شهرة أو مكانة عنهم، ولكن العبد الفقير لا يعرفهم.

أصيب أحمد بالملل من الانتظار، فالناس تأتي وتذهب وهو كما ما هو، فذهب مرة أخرى للسكرتيرة.

أحمد: حضرتك بلغتيه إني هنا؟

السكرتيرة: للأسف لأ؛ الأستاذ زي ما حضرتك شايف مشغول جدًّا النهاردا.

أحمد: إزاي أبقى قاعد دا كله وحتى ما تبلغيهوش؟! قولي له إني من طرف علي الدمراوي.

قالها بانفعال وحدة وصوت مرتفع. وحلت لحظة سكون بالمكان. واضح أن الاسم له ثقلٌ، وبدأت الهمسات تصل إلى أذن احمد: علي الدمراوي؟! هو لسه موجود؟! دا بقى له سنين مختفي، معقولة؟!

وقالت السكرتيرة في لهجة لوم مهذب،

السكرتيرة: حضرتك ما قولتش ليه من الأول؟ ثانية واحدة. وتحدثت في الهاتف؛ ألو، مس فريدة؟ الأستاذ اللي قلت لحضرتك عليه من طرف علي باشا.

مس فريده:...

السكرتيرة: علي باشا الدمراوي.

مس فريده:...

السكرتيرة: حالًا يكون عندك يا مس فريدة.

وقامت واصطحبته إلى مكتب مس فريدة.

السكرتيرة: اتفضل، مس فريدة مديرة مكتب الأستاذ، وهي هتدخلك على طول. لو كنت قلت من الأول ما كنتش استنيت كل دا. اتفضل من هنا.

واستقبلته مس فريدة بالترحيب.

مس فريدة: أهلًا وسهلًا، اتفضل.

أحمد: أهلًا بيكي.

مس فريدة: تشرب إيه؟

أحمد: شربت تحت.

مس فريدة: أيوه، بس لازم تشرب هنا.

أحمد: لا متشكر.

مس فريدة: حضرتك من طرف علي باشا؛ تيجي من بره على هنا على طول.

أحمد: ما كنتش أعرف إنها تفرق قوي كدا.

مس فريدة: أووووه، تفرق طبعًا علي باشا أهم عميل عندنا.

ثواني أبلغ أستاذ شريف إنك هنا.

مس فريدة: ألو، أستاذ شريف.

أستاذ شريف:...

مس فريدة: عارفة إن حضرتك في meeting بس عندي ليك مفاجأة.

أستاذ شريف:...

مس فريدة: عندي الأستاذ أحمد من طرف علي باشا الدمراوي.

أستاذ شريف:...

مس فريدة: حاضر يا فندم، حالًا. اتفضل يا أستاذ أحمد

ودخل مكتب الأستاذ، وكان بالفعل في اجتماع، ولكنه اعتذر للحضور وأنهى الاجتماع وتوجه لأحمد.

أستاذ شريف: أهلًا وسهلًا. فريدة، الغي أي معاد النهاردا.

مس فريدة: حصل يا فندم، وقالت مبتسمة، enjoy

أحمد: أهلًا بحضرتك.

أستاذ شريف: اتفضل، اتفضل، تشرب إيه؟

أحمد: لا شكرًا، ولا أي حاجة.

أستاذ شريف: تمام.

صمت لحظة واسترسل: إنت من طرف علي الدمراوي؟

أحمد: أيوه.

أستاذ شريف: هو فين؟ قوم وديني ليه.

أحمد: لا مش هينفع حضرتك.

أستاذ شريف: هو قال لك كدا؟ لسه مش عايز حد يعرف مكانه؟

أحمد: لا؛ هو اتوفى.

أستاذ شريف: إيه؟! إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. الله يرحمك يا علي. علي عشرة عمر. إنت تعرفه من إمتى؟

أحمد: من خمس أو ست سنين.

أستاذ شريف: من ساعة ما اختفى تقريبًا. قوم بينا، الكلام مش هينفع هنا. فريدة، العربية.

نزلا في صمت وركبا السيارة التي فتح السائق بابها، ودراجتان بخاريتان أمامها، وخلفها سيارة البودي جارد.

- آه يا احمد! حاجة ولا في الأحلام!

توجهوا لأحد أشهر الفنادق في مصر، واستُقبلا بحفاوة بالغة وطلبا العشاء.

أستاذ شريف: اتفضل يا احمد، احكي، عايز أعرف علي من يوم ما بعد لحد النهاردا عمل إيه؛ علشان أعرف وصل لحد فين؟ واعرفك انت كمان؛ علشان من هناك هنبدأ مشوارنا سوا.

وأخذ أحمد في السرد، والأستاذ شريف يستمع ويبتسم مستنكرًا ما فعله علي في نفسه، حتي وصل إلى موضوع الصندوق والأوراق والوصية.

أستاذ شريف مبتسمًا: هنا مربط الفرس، الوقت اتأخر دلوقتي وانت شكلك مجهد، قوم نام ونكمل بكرة.

أحمد: آجي لحضرتك المكتب؟

أستاذ شريف: لا، أنا مش هسيبك بعد كدا، اللي جرى لعلي دا لما بعد عني، أنا هاحجز لك سويت هنا جنبي علشان أول ما نصحا نبدأ يومنا. يلا بينا.

وأحمد يسير بجانبه مجهدًا مشتت الفكر، لا يدري ماذا يخبئ له الصباح الجديد.

(٩)

رجل من بني إسرائيل: وامصيبتاه! وا نبياه!

رجل من بني إسرائيل: اصمت يا فتى؛ ألم تسمع قول سليمان بن داود حين نهى القوم عن النياحة؟

رجل من بني إسرائيل: وكيف ننتهي؟ هذه طامة حلت علينا.

رجل من بني إسرائيل: صدقت يا رجل.

رجل من بني إسرائيل: من أين لنا بنبي رحيم وإمام عادل مثل نبي الله داود؟

رجل من بني إسرائيل: والله لم يشهد بنو إسرائيل يومًا أشد من يوم موسى وهارون إلا الآن.

رجل من بني إسرائيل: هؤلاء أبناؤه غسلوه وحنطوه وكفنوه.

رجل من بني إسرائيل: يا هل ترى أي الأبناء سيصبح ملكًا بعد أبيه؟

رجل من بني إسرائيل: أتتحدثون عن الملك الآن وشمس هذا اليوم تكاد تهلكنا؟

رجل من بني إسرائيل: أترون ما أرى؟ هذا سليمان يشير للطير ويأمرها أن تظلل الناس.

رجل من بني إسرائيل: نعم، والأعجب أن الطير تستجيب لأوامره وتتراص بعضها إلى بعض من كل الجهات.

رجل من بني إسرائيل: أظلتنا الطير نعم، ولكننا نكاد نهلك من شدة القيظ.

رجل من بني إسرائيل: ها هو ذا سليمان يكلم الطير مرة أخرى ويخبرها أن تظلل الناس من ناحية الشمس وتتنحى عن ناحية الرياح.

رجل من بني إسرائيل: فليكن سليمان الملك القادم.

رجل من بني إسرائيل: نعم، والله لقد بدت لنا آياته.

رجل من بني إسرائيل: نعم، الملك الشاب سيحفظ ملك أبيه ويسير على عهده.

رجل من بني إسرائيل: أجل، لن نرضى بغير سليمان بديلًا، هو ملكنا القادم.

وبالفعل ورث سليمان عن داود الملك والنبوة، ولم يتغير عليه أحد من إخوته أو قومه، وسار على عهد أبيه ونصائحه له فقد كان آخر ما أوصاه به أن يحسن إلى بني إسرائيل ويرحم ضعفاءهم ويكثر من الدعاء لهم حتى يلينوا له ويسمعوا ويطيعوا.

آصف: فيما يشرد مولاي؟

سليمان: في الإرث الثقيل الذي ورثته عن أبي.

آصف: ولِمَ يا مولاي؟

سليمان: ألم تر يا آصف ما حدث لأبي؟

آصف: نعم، ولكنها النهاية المحتومة علينا جميعا.

سليمان: أجل، لذلك تمنيت أن أقضي ما بقي من عمري عابدًا زاهدًا، لكن ربي يأبى إلا أن يغمرني بالنعم التي أعجز عن شكرها أو الوفاء بها. فليرحمني الله ويغفر ذلاتي.

آصف: إنها آيات الله وفضله الذي ينعم به على الصالحين. لقد أتاك الله من كل شيء، كل ما تحتاج له لملكك، وسخر لك الإنس والجن والطيور والوحش والشياطين السارحين، وعلمك كيف تتعامل مع جميع هذه المخلوقات وتفهم لغاتها.

سليمان: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

آصف: اللّٰهُمَّ آمين.

سليمان: هيا يا آصف فقد حان موعد مجلسنا مع بني إسرائيل لقضاء حوائجهم.

آصف: أعانك الله يا مولاي.

وكان هذا المجلس يبدأ من أول النهار حتى قرب الزوال؛ لحل أمور بني إسرائيل والتشاور في الجهاد وتدارس أوامر الله وتطبيقها في الحياة الدنيا. وكان يحضر هذا المجلس بنو إسرائيل وبعض البشر السامعين عن معجزات سليمان والجن وبعض مخلوقات الله من طيور وهوام ووحوش ممن يأذن لهم نبي الله. وبعد انقضاء المجلس يقوم سليمان ليله لله شاكرًا حامدًا داعيًا الله أن يهبه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فمنَّ الله عليه بنعمة جديدة من الخضم الواسع: نعمة الريح التي تجري بأمره رخاءً حيث أصاب.

برقان الرؤيا: أبي الحبيب، أريد أن أسألك عن شيء.

آصف: وعليكم السلام يا ولدي.

برقان الرؤيا: معذرة يا أبي، سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

آصف: وعليكم يا ولدي، ما الخطب الذي جاء بك على هذا العجل وأنساك سلام الله؟

برقان الرؤيا: تتحدث بنو إسرائيل عنك.

آصف: وهل صمتت الناس يومًا عن الحديث يا ولدي؟

برقان الرؤيا: لا.

آصف: ماذا يقولون إذن شغل بالك هكذا؟

برقان الرؤيا: يتحدثون عن خاتمك الذي بيمينك.

آصف: هههههههههه، تركوني وتحدثوا عن الخاتم، وماذا قالوا؟

برقان الرؤيا: يقولون إن سيدنا سليمان أهداك إياه، وأن به قوى خارقة هي التي تساعدك على حفظ التابوت وإشرافك على بناء المحاريب والقصور على الأرض وعلى الماء وحتى في أعماق البحار. يسكنه عفريت من الجن، يحقق لك كل ما تريده في ثانية واحدة.

آصف: وماذا أيضًا؟

برقان الرؤيا: ما ردك على هذا الكلام؟

آصف: لا رد لي، إنها تكهنات ليس فيها شيئ من الصحة.

برقان الرؤيا: إذن عليك أن تخرج للقوم وتخبرهم الخبر الحق أو تثير الموضوع في مجلس مولاي سليمان لينفي هذا ويسكت الألسنة.

آصف: يا ولدي الحبيب، كلما اقتربت من المعية الإلهية سيكون اعتمادك على الله أقوى وأشد، واهتمامك بالرد على الناس أقل؛ فلا حاجة لك في أن

تؤكد أو تنفي، ولا يعنيك سوى سرك الأعظم الذي خلقت من أجله، فأنت وريث العهد والحفظ والقرب.

برقان الرؤيا: ومتى هذا يا أبي؟

آصف: اجتهد واقترب من الله وجاهد شيطانك واهزم رغباتك بكثرة الذكر وإدامة الفكر ودوام الحضور للمعية والتزام أعتاب العبودية واجعل لك مع الله سرًّا أعظم وكلمات لا تردهاالأبواب، اسأله بأنه الحنَّان المنَّان الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء أن يتقبلك ويختارك ويصطفيك ويخرجك من ظلماتك إلى أنواره؛ فهو ولي ذلك والقادر عليه.

برقان الرؤيا: أفعل إن شاء الله، وليتقبلنا الله ويدخلنا في الحفظة البررة.

آصف: اللّٰهُمَّ استجب. هيا بنا يا ولدي حتى لا نتأخر عن مرور مولانا وتفقده للجيش، يجب أن نكون أول الحاضرين تأدبًا واحترامًا للقواعد التي وضعها السلطان فهو يستاء إذا لم يجد أحدًا في مكانه المحدد له.

برقان الرؤيا: هيا يا أبي لنذهب.

(١٠)

لن نبدأ هذه المرة بدايتنا المعتادة مع استيقاظ أحمد من نومه؛ لأنه في هذه الليلة لم ينم رغم الفراش الوثير وفخامة الجناح الذي حل به وروعة كل ما يحيط به؛ فقد فاق ما حوله كل أحلامه وطموحاته، لكنه يشعر يقينًا أن هذا ليس عالمه وإن حل به سيحل ضيفًا، وأن استخدامه للأشياء سيكون مؤقتًا وعلى سبيل الاستعارة لا على سبيل الامتلاك، فظل يدور ببصره في المنزل الذي حل به ويحقق ويدقق في تفاصيله وروعة تصميمه وكيفية تنفيذه لعابرين، فهو أهل للبقاء. وأثناء رحلته في هذا الجناح الملكي وصل للشرفة وإذا بمنظر النيل الخلاب، ياللروعة! طالما وقف على إحدى ضفتيه بالساعات، طالما شاركه أفراحه وأتراحه، لكنه يراه الآن كما لم يره من قبل، يراه من علٍ دون أن يزعجه الباعة الجائلون ولا أنصاف العشاق ولا تؤرق عينيه مخلفات البشر التي يلقونها على شريانهم الوحيد للحياة، يراه وكأنه له وحده، واستقرت جلسته أمامه، كأنما يملأ عينيه منه كما لو كان لن يراه مجددًا، وأثناء هيامه في هذه المعجزة الإلهية، إذ بأحدهم يرمقه من طرف النافذة.

أحمد: مين؟ مين؟! إنت لسه عايش؟!

وقام مسرعًا فاتحًا البلكونة، ممسكًا بيد العم حمزاوي، وأجلسه على الكرسي المجاور له، وبعدما أطال النظر اليه:

احمد: إيه يا عم حمزاوي؟ موديني على فين يا عم حمزاوي؟

عم حمزاوى: أنا مش عارف، إنت اللي هتروح، وانت اللي هتختار.

أحمد: هتسيبني كدا؟! مش انت اللي ورطتني الورطة دي؟

عم حمزاوي: ناظرًا حوله باستغراب: دي ورطة برضه؟! حرام عليك.

أحمد: طب ما انت سبت ده كله ومشيت.

عم حمزاوي: إنت حر، عايز تمشي، عايز تكمل، ما حدش هيجبرك على حاجة.

أحمد: وكانت ليه الحيرة يا راجل يا طيب؟

عم حمزاوي: حيرة إيه يا ابني؟ إنت كنت إنسان معايا وتستاهل أكافئك.

أحمد: ودي مكافأة برضه؟

عم حمزاوى: قل لي يا احمد، إيه فايدة السكينة؟

أحمد: السكينة؟

عم حمزاوى: أيوه، السكينة.

أحمد: بنقطع بيها الأكل.

عم حمزاوي: وبنقتل بيها كمان. كل حاجة كدا نقدر نعمل بيها الخير والشر، كل واحد واختياره.

أحمد: أنا اصلًا مقرر، لا خير ولا شر، أنا هتبرع بيهم للأعمال الخيرية

عم حمزاوي: هههههههههههههههههههههههههههه

أحمد: بتضحك على إيه؟

عم حمزاوي: إنت قابلت شريف، مش كدا؟

أحمد: أيوه.

عم حمزاوي: ابقى احكي لي قال لك إيه لما تقول له كدا.

أحمد: عم حمزاوي، عم حمزاوي، سايبني ورايح فين؟

وهب واقفًا مع شقشقات الفجر، لا يدري أكان حلمًا، أم محض خيالات. وألقى نفسه على السرير لعله ينعم ببعض الراحة التي ضن عليه بها عم حمزاوي.

وما هي إلا سويعات سرقها أحمد من نومه، وإذا بهاتف الغرفة يرن.

أحمد يرد في تثاقل: ألو... لا خلاص أنا صحيت... عشر دقايق واكون عند حضرتك... مع السلامة.

وبالفعل ما هي إلا دقائق واذا بأحمد في مطعم الفندق يبحث عن أستاذ شريف حتى وجده وتقدم إليه.

أحمد: صباح الخير يا أستاذ شريف. آسف لو كنت اتأخرت عليك.

أستاذ شريف: لا أبدًا ما فيش تأخير ولا حاجة. يلا قوم هات فطارك وتعالى.

أحمد: لا ما ليش نفس دلوقتي.

أستاذ شريف: لا ما ينفعش؛ النهاردا يومنا طويل. أنا امبارح سمعتك، وانت النهاردا تسمعني. يلا قوم بلاش دلع.

وقام أحمد وأتى بالقليل من المخبوزات وفنجان قهوة لعله يفيق من حلم أمس ويستعد ليومه الجديد، وجلس قبالة الأستاذ شريف يتناول إفطاره ويتحاشى نظراته مترقبًا ما سيلقيه عليه.

أستاذ شريف: خلاص فطرت كدا؟

أحمد: آه، الحمد لله.

أستاذ شريف: بص يا سيدي، المفروض تبتدي تعرف الدنيا فيها إيه، وتعرف إن النهاردا يوم جديد في حياتك وإن اللي فات حاجة واللي جاي حاجة تانية خالص. هنبدأ نلف على الشركات وتتعرف على الناس، وتتعلم الشغل وتعرف إيه اللي ليك وتستلمه وإيه اللي عليك وتشتغله و...

أحمد: ثواني بس، أنا اصلًا مش ناوي أكمل كدا، أنا عايز أتبرع بالحاجات دي أو أوقفها لأعمال الخير يا أستاذ شريف.

وضحك الأستاذ شريف ضحكة لم تخطئها ضحكة عم حمزاوي أمس وكأنها نفس الضحكة، واستدرك قائلًا،

أستاذ شريف: تتبرع بإيه يا ابني؟ هو أنا موعود بالمجاذيب؟

وشعر بالحرج من وصفه له ولعم حمزاوي بالمجاذيب، فتنحنح وأكمل في خجل: اوعى تكون زعلت؟ أنا بهزر معاك وبعتبرك أخويا الصغير. إنت ازاي بتفكر كدا؟ رزق وربنا بعتهولك. أنا تعبت علشان أحافظ على الحاجات اللي سابها علي.

واستدرك قائلًا، قصدي سبهالك، وانت المفروض تشيل مسؤوليتها وتديرها وممكن تعمل الأعمال الخيرية اللي انت عايزها، بس لو سبته زي ما انت عايز أو وقفته ممكن يتسرق أو يضيع أو الناس تشتغل بإهمال وتراخي، وبدل ما تاخد ثواب تشيل ذنب المال اللي هيضيع، تعمل إيه لما ربنا يسألك...

وظل قرابة الساعة في كلام مستمر محاولًا إثناء أحمد عما بدر منه، واستغل كل قدراته ولغوياته التي اشتهر بها كمحامٍ من أكفأ المحامين في الساحة، وحينما ظهرت على أحمد علامات الموافقة، قال خاتمًا خطبته العصماء عن الحق والخير وخدمة المال لأعمال الخير: دا رأيي، وانت اعمل اللي شايفه صح واللي يخلصك من ربنا. وصمت منتظرًا نتيجة هذه المرافعة، وأطرق بعدما تأكد من نتيجة ما قاله على وجه أحمد.

أحمد: حضرتك كلامك صح، وانا مش معترض، بس دا حمل تقيل وانا خايف، عمومًا ربنا عالم بحالي وبنيتي وأكيد هيساعدني.

استاذ شريف وقد ابتسم ابتسامة الواثق من النتيجة وهب واقفًا،

استاذ شريف: مش ربنا بس اللي معاك، أنا كمان، وهساعدك. يلا بينا نروح على الشركة، هما مستنينا وعندهم خبر بوصولنا في أي لحظة.

وانطلاقًا إلى الشركة التي اكتشف أنها صرح وواجهة لمجموعة من المصانع المتعددة المجالات المتكاملة، فهي شركة إنشاءات يتبعها مصنع للحديد وآخر للأسمنت وغيره للسيراميك، هذا ما استطاع أن يعرفه وقضى بقية يومه في التعرف على رؤساء مجالس إدارات الشركات والمصانع التابعة له، وحين ظهر عليه الإجهاد رفق به الأستاذ شريف وقال له،

استاذ شريف: أظن كفاية كدا النهاردا ونكمل بكرة. يلا بينا.

أحمد: آه يا ريت.

أستاذ شريف: بس هنروح مشوار الأول.

أحمد: مشوار إيه بس؟

أستاذ شريف: تعالى بس، هتنبسط صدقني.

وذهبا إلى أحد المولات الفخمة، وعمدا إلى محل من أشهر المحلات وإذا بالعاملين يستقبلونهم بحفاوة، ومدير الفرع بنفسه: أهلًا وسهلًا شريف باشا، اتفضل.

أستاذ شريف: أنا عايزك تظبط لي الباشا الصغير دا من مجاميعه، بدل وقمصان وكرفتات وأندر وير وكله.

أحمد مقاطعًا: بس أنا عندي لبس كتير، أروح أجيبه من الشقة.

أستاذ شريف: لا خلاص، أنا عايزك تنسى الشقة واللي في الشقة.

واستسلم أحمد إلا من بعض المقاومة لتقليل عدد البدل، أو استبدال اللبس الكاجول ببعضها، وبعد عدة ساعات خرجا وخلفهما بعض العاملين حاملين المشتريات الي السيارة.

أستاذ شريف: تحب تروح فين؟

أحمد: أحب أنااااام.

أستاذ شريف: هههههههههه، طب تحب تنام في الفندق ولا الفيلا؟ الناس مستنياك عمومًا.

أحمد: فيلا؟!

أستاذ شريف: آه، أنا كلمت الناس وهما في انتظارك.

أحمد: أي مكان، المهم أنام.

واتجها للفيلا التي وجدها أحمد قصرًا، ولكنه فقد انبهاره بالأشياء فقد اعتاد على المفاجأت. وتعرف على العاملين، وعرفته مديرة المنزل مدام فاطمة على المكان و على غرفته، وحين

أخبرها بحاجته للنوم اعتذرت قائلة،

مدام فاطمه: سوري يا أستاذ أحمد، بس العشاء جاهز على السفرة، والأستاذ شريف مستنيك، الأفضل تتعشى معاه وبعدها تنام براحتك.

واستجاب لطلبها، وتناولا العشاء وهمَّ الأستاذ شريف بالانصراف.

أستاذ شريف: تصبح على خير. آه بالحق، الصبح هتلاقي العربية بالسواق في انتظارك، نبقى نتقابل في الشركة.

أحمد: إن شاء الله، بس هتأخر شوية؛ هعدي على الجامعة الأول واجي الشركة على الضهر كدا.

أستاذ شريف: ما فيش مشكلة.

وأخيرًا صعد إلى غرفته وأخذ حمامه وصلى العشاء وركعتين للحاجة لكي يعينه الله ويوفقه لأرشد أمره، ويعينه على ما هو مقبل عليه. ونام بعمق إثر مجهود اليوم.

(١١)

ولما كان موعد مرور سلطان الزمان سليمان موعدًا مقدسًا، اصطف الإنس والجن والدواب والطيور والهوام منتظرين مرور الملك الحكيم لتفقد جيشه العظيم الذي لم ولن يشابهه جيش، من أيام آدم وحتى قيام الساعة.

سليمان: مرحبا يا آصف، كيف حال جنود الله في أرضه؟

آصف: بخير حال يا مولاي، ويدعون لسلطانه بدوام ملكه وعزته وشرفه.

سليمان: لا يوجد ملك مقيم هنا يا آصف، ولكنها زينة الحياة الدنيا.

آصف: اللّٰهُمَّ ارزقك من خيرى الدنيا والآخرة.

سليمان: أباديباج، كيف حال جنودك من الجن؟

أباديباج: نعم الحال حالنا تحت ولاية مولانا.

سليمان: أينقصكم شيء أو لكم طلب؟

أباديباج: لله الفضل، ولمولانا الشكر.

سليمان: سأذهب لتفقد الطير.

أباديباج: هل يحب مولاي أن أرافقه؟

سليمان: كلا، ابق مع جنودك، معي آصف.

أباديباج: أمر مولاي.

سليمان: ما هذا؟ أين عنبر؟

آصف: الله ونبيه أعلم.

سليمان: كيف له أن لا يكون في مكانه؟!

آصف: لعل هناك أمرًا جللًا جعله يغيب.

سليمان: وكيف لا يخبرني؟! لأذبحنه.

آصف: مولاي، إن الهدهد عنبر من خاصتك، فأنت تحبه وتقدره، ووليته أمور الطير.

سليمان: أجل، لكن هذا أحرى ألا يتخلف عن موعدي.

آصف: لعل نسبة الماء في الآبار المحيطة قلَّت وذهب يتفقد الأرض من حولنا ليجد لنا الماء من تحت تخوم الأرض.

سليمان: إن لم يأتني بالخبر اليقين لأعذبنه عذابًا شديدًا.

آصف: ها هو يا مولاي، أراه قادمًا من بعيد.

عنبر: السماح يا مولاي، الرضا يا مولاي.

سليمان نظر نظر الغضبان ولم يجب.

عنبر: أحط بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين.

آصف لما رأى من اندهاش السلطان وظهور ملامح الغضب عليه أشار للهدهد أن أفصح علك تنجو.

عنبر: إني وجدت امرأة تملكهم، وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.

سليمان: وماذا في هذا يا عنبر؟

عنبر: وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.

آصف في ذهول: ألا يسجدون لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون؟!

عنبر: الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

سليمان: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.

وأمر آصف أن يكتب ما يمليه عليه، ثم أعطى الكتاب للهدهد عنبر وقال له: اقترب يا عنبر.

ووضع على رأسه تاجًا من ريش.

عنبر: ما هذا يا مولاي؟!

سليمان: إنه تاج لك، وسيصبح لك أنت وذريتك إلى يوم الدين،

اعلم يا عنبر أنك رسول من سلطان بني إسرائيل ونبي الله، فاسمع وأطع.

اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم،

ولكن تحسس الأمر ولتأتني بخبرهم قبل أن يصلني مكتوبهم، ولتنظر ماذا يرجعون، فلتسر في معية الله ولتنطلق، هيا.

فانطلق قاطعًا الفيافي إلى مهمته الجلية، وحينما عاد روى الهدهد عنبر ما حدث، ولقد كان عجبًا ورب إبراهيم.

عنبر: مولاي سليمان، إجمالًا لقد فعلت ما أمرتني به، وألقيت إليها بكتابك الكريم.

سليمان: وتفصيلًا يا رسول رسول الله.

تبسم عنبر قائلًا: لقد قطعت المسافة إلى سبأ داعيًا الله باسمه الأعظم وعهده الأوثق أن يعينني على تمام هذه المهمة على أكمل وجه.

سليمان: ونعم المعين.

عنبر: حينما وصلت فوق قصر الملكة، دورت فوقه عدة دورات حتى أكتشف أين ألقي إليها الكتاب، حتى وجدت ريحانة

سليمان متعجبًا: ومن هذه الريحانة؟

عنبر: هذه أنثى هدهد التقيتها فوق القصر.

سليمان: وماذا حدث بينكما؟

ريحانة: من أنت؟ أغريب عن هذه الديار؟

عنبر: نعم، أنا عنبر.

ريحانة: وما هذا الذي فوق رأسك؟

عنبر: إنه تاج، توجني به مولاي سليمان؛ لأني رسوله إلى ملكة هذه الديار.

ريحانة: نبي الله سليمان بن داود؟!

عنبر: نعم، فجدي وأبي بايعوه على الإيمان والسمع والطاعة في الشدة والغضب.

ريحانة: عجبًا لأمر البشر! نحن معشر الطيور نؤمن بالله لا نشرك به شيئًا وهم يشركون ما لا يعلمون!

عنبر: نعم، صدقت.

ريحانة: ولِمَ أرسلك؟

عنبر: أرسل معي خطابًا لملكة هذه الديار، أو تعرفينها؟

ريحانة: نعم، إنها بلقيس بنت السيرح، وكان أبوها من أعظم الملوك ولم ينجب سواها، فلما مات تولى القوم ملك بعد أبيها فهمَّ بالفساد في البلاد والعباد.

عنبر: وكيف آل إليها الملك؟

ريحانة: أرسلت إلى هذا الملك تخطبه لنفسها، فتزوجها، فأسكرته حتى ثمل، حزَّت رأسه ونصبته على بابها؛ فبايعها الناس، وأحسنت إليهم.

عنبر: هل تعرفين أين مخدعها؟

ريحانة: ولِمَ؟

عنبر: أريد أن ألقي إليها بهذا الكتاب.

ريحانة: إذن فاتبعني، وليسر الله مرورنا للداخل.

فاتبعها عنبر حتى مرا من الحرس ودخلا إلى مخدعها، فوجدها تتأهب للخروج للقوم فاقترب منها وانحنى لها بلطف واقترب منها وألقى إليها الكتاب.

بلقيس: ما هذا؟ انتظر، انتظر.

واختفى عنبر من أمامها، لكنه اختبأ في أحد أطراف الغرفة حتى ينظر ماذا يحدث، فوجدها تتعجب من الأمر،وقرأت الكتاب مرارًا، وخرجت لقومها تحدثهم فيما حدث.

عنبر: تُرى إلى أين تذهب يا ريحانة؟

ريحانة: بالتأكيد إلى قاعة العرش.

عنبر: أنستطيع التوجه لهذه القاعة؟

ريحانة: أعلم مكان شباك في أعلى القاعة، أنظر منه أيام الاحتفالات. هيا بنا.

ريحانة: ها قد وصلنا وسبقناها. انظر إلى عرشها وعظمته.

عنبر: يا الله! لم أر مثله قط، إنه مزخرف بشتى أنواع الجواهر واللآلئ والذهب.

ريحانة: نعم، إنها أوتيت من كل شيء أوتي منه الملوك.

عنبر: ها هي آتية في موكبها، يظهرعليها الاضطراب.

ريحانة: فلننظر ماذا سيحدث.

(١٢)

وهذا يوم آخر جديد، يستيقظ فيه أحمد على رنة محموله، وما أن يرى اسم المتصل حتى يتهلل وجهه ويرد في حب وشوق وسعادة بالغة،

احمد: يااااااه يا عمنا! واحشني والله يا أيمن.

أيمن: بس يا عم بلا واحشني بلا حركات، أنا اصلًا ما كنتش ناوي أكلمك، بس أعمل إيه؟ حكم القوي.

أحمد: أولًا أمًا تعرف هتعذرني، أنا لا يص في دنيا غير الدنيا، ثانيًا مين القوي اللي حكم عليك علشان أشكره؟

أيمن: مريم يا مولانا.

أحمد: إيه؟! مريم؟! بجد والله؟

أيمن: أيوه، وهي جنبي أهي، خد كلمها.

أحمد: ألو، إزيك يا مريم؟

مريم: إزيك يا أحمد؟ أسفة لو قلقناك، بس كنا عايزين نطمن عليك.

أيمن مقاطعًا: اتكلمي عن نفسك لو سمحت، أنا مش عايز أطمن على حد.

أحمد: لا خالص. ما تتصوريش أنا سعيد بالمكالمة دي قد إيه وكنت محتاج لها جدًّا، ربنا كريم وعالم بالحال.

مريم: ما لك بس فيك إيه؟

أحمد: أنا في ورطة كبيرة ومحتاج لكم قوي.
مريم: يا خبر أبيض! طب قول فيه إيه؟ قلقتني بجد.
أحمد: مش هينفع في التليفون، إنتم في الجامعة؟
مريم: آه.
أحمد: طيب مسافة السكة واكون عندكم. سلام مؤقت.
مريم: سلام يا احمد.
وهب أحمد واقفًا، توضأ وصلى وارتدى ملابسه سريعًا ونزل الدرج، واستوقفته مدام فاطمة ببشاشة.
مدام فاطمة: صباح الخير يا أستاذ أحمد.
أحمد: صباح النور.
مدام فاطمة: واضح إن حضرتك مستعجل.
أحمد: فعلا.
مدام فاطمة: الفطار جاهز من بدري، مش هتتعطل.
أحمد: لا، فطار إيه؟ مش هلحق.
مدام فاطمة: يا أستاذ أحمد، ما تعرفش يومك هيبقى عامل ازاي؛ خد حاجة سريعة كدا.
أحمد على استحياء: حاضر، حاجة سريعة كدا علشان ما تزعليش.
مدام فاطمة: شكرًا لذوقك.
وتتبعه إلى غرفة الطعام: ممكن تقول لي على الحاجات اللي بتحب تاكلها ومواعيد أكلك؟

أحمد: لا ما تشغليش بالك؛ أنا بصرَّف نفسي بأي حاجة.

مدام فاطمة: بابتسامتها التي لا تغادر وجهها إحنا هنا في خدمتك، وأول أولوياتنا صحتك وغذاءك وراحتك.

أحمد: بصراحة أنا مش واخد على موضوع الأكل دا، ومش بركز فيه قوي؛ فخليه على ذوقك، وأنا متشكر جدًّا لتعبك.

مدام فاطمة: لا يا فندم، دا واجبي وشغلي.

أحمد مسرعًا بعد أن عمل ساندويتشًا: أكله بقى وانا ماشي علشان ما اتأخرش.

مدام فاطمة: توصل بالسلامة إن شاء الله.

أحمد: سلام عليكم.

مدام فاطمة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

واضح إنه ابن حلال ومش متعب. اللّٰهُمَّ لك الحمد، ربنا يكرمه ويبارك فيه.

وخرج أحمد ووجد السائق بانتظاره، وفتح له باب السيارة.

السائق: اتفضل يا فندم.

أحمد: شكرًا. اسم حضرتك إيه؟

السائق: إبراهيم يا أستاذ أحمد.

أحمد: اتفضل يا عم إبراهيم

عم إبراهيم: على الشركة حضرتك ولا مكان تاني؟

أحمد: لا، على الجامعة، جامعة القاهرة.

وفي الطريق سرح أحمد بخياله متذكرًا بدايته وما مر به من أحداث: من وفاة أمه أثناء ولادته، وحزن أبيه الشديد عليها مما أدى لتركه للقرية التي يعيشون فيها ونزوحه للقاهرة للعمل بها، ووفاته بعد سنوات قلائل كان يراه فيها مرة كل شهر أو شهرين، حتى أنه لا يحمل له الكثير من الذكريات، وجدته التي قامت على شؤونه وتولت تنشئته وتربيته قدر استطاعتها والتي كان لها كبير الأثر في شخصيته، ونصائحها التي ما زال يحيا عليها ويحملها بداخله أينما ذهب مثل: العلام حلو قوي؛ هو اللي هيوصلك لأعلى المراتب، اوعى تفوّت فرض ولو بتموت؛ أحسن البركة تتنزع من عيشتك، طول ما ربنا معاك ما تخافش من بني آدم، هيعملوا إيه أكتر من إنهم ينفذوا فيك حكم الله؟ ارضى وحب اللي ربنا قسم لك بيه تسعد، ربنا أخد منك أمك وأبوك علشان يتولاك زي حبيبك النبي وبدل ما يكون عندك أم وأب بقى كل أمهات البلد أمك وكل أبهات البلد أبوك.

كانت فيلسوفة بالفطرة، ودائمًا ما تدعو له بأن يحفظه من كل سوء ويحبب فيه حصا أرضه. ولطالما وصت إمام الجامع وأهل القرية: عدوه ابنكم، علموه الصح، ولو غلط أدبوه.

وقد كان مؤدبًا بالفطرة ولله الحمد، وكسرة اليتم جعلته قليل الغلط، فشبَّ على نصائحها كأنها غرس النخل في قلبه، ودعواتها المتلاحقة له، ودفعها له لأن يكون متعلمًا وذا شأن، ورغبتها الملحة في أن يكون من أهل الله.

عم إبراهيم: تحب تنزل فين يا أستاذ أحمد؟

أحمد مرددًا في نفسه: إيه دا؟! وصلنا بسرعة كدا؟! طيفك يا ستي طوي الطريق طي.

على أي جنب يا عم إبراهيم، وسيب لي رقم تليفونك، واقعد في أي حتة، وانا خارج هرن عليك.

ودخل أحمد الجامعة وضربات قلبه تتصاعد كأنما جاء ليبحث عن نفسه. وعندما وصل للكافيتريا وجدهما بانتظاره.

أحمد: السلام عليكم.

أيمن، مريم: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أيمن: خير يا عم؟ البنية قلقتني عليك.

مريم: خير يا احمد؟ طمني عليك، فيه إيه؟

أحمد: اصبروا شوية عليَّ، عايز أجمَّع الأول واشوف هابدأ أحكي لكم منين؟

أيمن: ابدأ من أي حتة والكلام هيجيب بعضه.

مريم: آه يا احمد قول بقى، ما بقتش مستحمله.

وحكى لهما أحمد ما كان بينه وبين عم حمزاوي، مرورًا بالصندوق ووصولًا للأستاذ شريف والفيلا التي أصبح يقيم فيها والسيارة الأحدث موديل التي تنتظره في الخارج، وصمت مترقبًا رد فعليهما، فإذا بعلامات الذهول تكسو وجهيهما، والاستنكار يطل من عين أيمن، والدموع تتلألأ في عيني مريم إشفاقًا عليه، وقطع أيمن الصمت قائلًا،

ايمن: أنا حدود علمي إنك ما مبتشربش المياه الساقعة، بس الصنف دا عالي عالي عالي.

مريم: بس يا أخي، إنت كل حاجة تقلبها تهريج وتريقة كدا. الله يكون في عونك يا احمد، الحمل تقيل قوي الصراحة الله يقويك، إنت طيب وكويس وبتحب الخير وربنا أكيد هيقف جنبك ويساعدك، بس أنا رأيي إنك تسيب الجمل بما حمل، إنت فنان موهوب وبتقفل في الماجيستير بتاعك والدنيا قدامك و...

أيمن مقاطعًا: إيييييه يا ستي؟ يسيب إيه؟ هي ظيطة؟ شوف يا احمد يا ابني، الكلام دا لو حقيقي يبقى الزهر لعب معاك، ودي فرصة عمرك تمسك فيها بإيدك وسنانك، تعيش وتتهنى وتعيشنا

معاك، علشان إيه؟

أحمد مبتسمًا: علشان إيه يا بيه؟

أيمن: علشان اللي ياكل لوحده يزور. بتضحكوا؟! طب تصدق أنا غلطان إني بوعيك، بس أنا أخوك وحبيبك، ممكن تخليني مدير أعمالك أو رئيس مجلس إدارة كام شركة من اللي محيرينك ومضايقينك دول، واهو أشيل معاك الهم اللي انت شايله، أنا حبيبك اوعى تسيبني كدا؛ أزعل قوي.

أحمد: أولًا: أنا مش ممكن أسيبك لإنك جدع وراجل، ورغم كل الخلافات اللي بينا في الطباع والأسلوب بس أنا عارف إن انت معدنك كويس ونور ربنا ماليك حتى لو ما كنتش انت نفسك عارف دا. ثانيًا: يا مريم، أنا كنت عايز أتكلم مع الدكتورة منى والدكتور حسين.

أيمن: أيوه بقى يا عم، الله يسهله.

واحمرت مريم خجلًا ورد أحمد: فيه إيه؟ ما لك مهيس كدا ليه النهاردا؟

الصدمة أثرت على دماغك؟ إنت عارف د. منى بالنسبة لي إيه؟ أنا باعتبرها والدتي ومثلي الأعلى ويهمني جدًّا رأيها، ود. حسين علَّامة في الاقتصاد ووزير سابق فأكيد هفيدني في حوار الشركات والمؤسسات دا، ولا إيه؟

أيمن: لا يا شيخ! تصدق إنت عمرك ما هتتغير.

مريم: في محاولة لتغيير الموضوع ماما ما عندهاش محضرات النهاردا، بس ما اعرفش بابا في البيت ولا في المكتب، ثواني أكلمها... هما الاتنين عند بابا في المكتب، تحب نروح لهم دلوقتي؟

أحمد: آه يا ريت، تحب تيجي معانا يا أيمن؟

أيمن: طبعًا، أنا رجلي على رجلك يا برنس، يلا بينا.

طلب أحمد عم إبراهيم وكان في انتظارهم عند باب الجامعة.

أيمن: إيه دا يا عم؟ دا باين الموضوع بجد، عربية بسواق، والله وضحكت لك يا احمد.

مريم: أحمد أصلًا كويس ويستاهل كل خير.

أحمد: شكرًا يا مريم. اركبي قدام علشان توصفي لعم إبراهيم المكان.

وبعدما وصلوا وقص أحمد ما حل به كان رأيهم كالآتي:

د. منى: بص يا احمد، إنت عارف أنا بعزك قد إيه، إنت مش طالب مجتهد عندي وبس، إنت مثال للأدب والأخلاق، إنت ابن يشرف، وطالما الموضوع جالك من غير سعي منك فربنا أكيد هيساعدك، بس انت اوعى تتشد للحياة دي وتبعد عن ربنا أو تنسى دراستك، وخد بالك، إنت داخل على

حياة مليانة فتن، حط هدفك قصاد عينك وربنا في قلبك وكله هيكون خير بإذن الله.

أحمد: شكرًا يا د. منى، ربنا عالم معزة حضرتك عندي والنصايح اللي قولتهالي دي هتكون حلقة في وداني. وحضرتك يا د. حسين، إيه رأيك؟

د. حسين: بص يا ابني، كونك تتبرع بكل حاجة وتريح نفسك دا حل مش سليم، العكس، راس المال هيفضل يقل لحد ما يخلص. أفضل حاجة اتفق عليها خبراء الاقتصاد وعلماء الدين إنك تتبرع بثلث صافي الربح بعد كل المستقطعات وتعمل بيه مشروعات خيرية تصرف على نفسها، وثلث تعمل بيه توسعات لشغلك، والثلث الثالث للمصاريف، وبكدا تكون حققت المعادلة الصعبة: لا إفراط ولا تفريط، وخلي عينك في وسط راسك؛ التجارة بحورها غريقة، والسكك العوجة فيها أكتر من العدلة. حاجة أخيرة أحب أنبهك ليها: الأستاذ شريف محامي كبير وليه اسمه وسمعته، بس لا بأس من بعض الحذر، أنا مش بشكك فيه -لا سمح الله- بس ما تخدش كلام أي حد مسلم بيه، حتى أن، ولو احتجت أي حاجة في أي وقت أنا تحت أمرك.

أحمد: أنا عايز طبعا، واتشرف إن حضرتك تكون مستشار للمجموعة.

د. حسين: لا يا حبيبي، أنا معاك من غير مستشار ولا حاجة، خليها بالود والحب أفضل. ربنا يعينك ويقويك.

وبعد أن شكرهم أحمد على النصائح الغالية كان الوقت قد تأخر. توجه هو وأيمن للفيلا.

أيمن: أنا مش مصدق عنيا! دي زي القصور اللي بتيجي في التلفزيون.

أحمد: بكرة إن شاء الله ربنا يرزقك بأحسن منها.
أيمن: تفتكر؟ ممكن أقابل عم حمزاوي تاني؟
أحمد مبتسمًا: لو تبطل تريقة بس.
أيمن: إيه؟ هاقابله؟
أحمد: لا مش هاعرفك ساعتها. مدام فاطمة، إحنا ميتين من الجوع ممكن أي حاجة ناكلها؟
أيمن: أي حاجة؟! إيه أي حاجة دي؟! لا ظبطينا والنبي يا مدام فاطمة، إحنا على لحم بطننا من الصبح.
مدام فاطمة: عنيا حاضر، ربع ساعة والعشا هيكون جاهز. أستاذ أحمد، أستاذ شريف جوه مستنيك من نص ساعة تقريبًا.
أحمد: السلام عليكم، أستاذ شريف إزيك؟
أستاذ شريف: وعليكم السلام يا سيدي. هنتدلع من أولها، ولا من لقى أحبابه نسي أصحابه؟
أحمد: لا طبعًا ما اقدرش. أحب أعرفك، أيمن صديق عمري واخويا، الأستاذ شريف المحامي العظيم ورئيس مجموعة الدمراوي.
أستاذ شريف: أهلًا وسهلًا.
أيمن: غني عن التعريف طبعًا، فرصة سعيدة يا فندم.
أستاذ شريف: ما جيتش ليه الشركة النهاردا يا احمد؟
أحمد: معلش، بس كان ورايا شوية مشاوير مهمة محتاج أخلصها، بكرة إن شاء الله هاكون هناك من بدري.

أستاذ شريف: أما نشوف.

مدام فاطمة مقاطعة: العشاء جاهز يا جماعة.

وبعد تناول العشاء،

أستاذ شريف: يلا يا احمد، قوم غير علشان نسهر.

أحمد: لا سهر إيه؟ أنا خلصان، وكمان بقالي كام يوم ما قريتش في المصحف.

أيمن: يا عمنا، يلا واما ترجع اقرا، ساعة الحظ ما تتعوضش.

أستاذ شريف: قول لصاحبك.

أحمد: لا سيبوني براحتي، وانت مش بتقول هتنزل معانا الشغل من بكرة يبقى لازم تنام علشان تيجي بكرة فايق.

أيمن: أنا بعون الله أطبق شهر، مش زيك.

أستاذ شريف: يلا يا أيمن، شكلنا هننسجم سوا، سيب صاحبك يقرا قرآن وينام، بكرة يجي معانا، هيروح مننا فين؟

أيمن ساخرًا: ما تنساش اللبن قبل ما تنام. تصبح على خير.

أحمد: وانتم من أهله.

واستقر المقام بأحمد في غرفته الجديدة تاليا القرآن حتى غلبه النعاس.

(١٣)

بلقيس: عمتم صباحًا سادة سبأ.

القوم: أسعد الله أيامك يا مولاتي.

بلقيس: حسنًا، أريد أن أستشيركم في أمر جلل.

القوم: خيرًا يا مولاتي؟

بلقيس: إنه ألقي إليَّ بكتاب كريم.

القوم: أي كتاب؟ ومن ألقاه؟ أين حدث هذا؟ من أرسله؟

هكذا همهم القوم

بلقيس: إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين.

القوم صمتوا مذهولين ولم ينبس أحدهم ببنت شفة.

بلقيس: يا أيها الملأ، أفتوني في أمري، ما كنت قاطعة أمرًا حتي تشهدون.

القوم: نحن أولو قوة، وألو بأس شديد.

بلقيس: سليمان ملك عظيم كما سمعنا، لكن الملوك لهم أحكام.

القوم: أحكام؟! مثل ماذا؟

بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوا فيها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.

القوم: الأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين.

بلقيس اتكأت على عرشها وفكرت مليًّا وقالت،

بلقيس: إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون.

القوم: نعم الرأي يا مولاتي.

بلقيس: يا وزير، جهز لهم من الجواهر أعظمها وأغلاها ومن الحرير أفخمه، ومن الذهب أنقاه، أريدها هدية لا مثيل لها، لعلها تلاقي في نفوسهم شيئًا.

الوزير: أمر مولاتي.

بلقيس: في أسرع وقت.

عنبر: يجب أن أرحل الآن يا ريحانة، لأخبر مولاي الخبر.

ريحانة: اقرأ نبي الله منا السلام؛ عسى الله أن يحشرنا تحت لوائه.

عنبر: إلى لقاء قريب إن شاء الله.

ريحانة: إلى اللقاء يا رسول نبي الله.

آصف: هذا ما أنهى به عنبر حديثه، ماذا تنوي أن تفعل يا مولاي؟

سليمان: كيف أقبل منهم هديتهم وهذه حالهم صرفًا وعدلًا؟

آصف: أترد الهدية يا مولاي؟ إنها الحرب إذن.

سليمان: نعم يا آصف.

آصف: أفهمك يا مولاي.

برقان الرؤيا: أعذرني يا مولاي، ولكن لِمَ؟

سليمان: ما يمدونني به مالٌ.

برقان الرؤيا: نعم يا مولاي، ولكن هل يمنع هذا من ذاك

سليمان: أين الثريا من الثرى؟

برقان الرؤيا: وما معنى هذا؟!

سليمان: ما أتاني الله خير مما أتاهم، أيستوي المال وما عند الله؟

برقان الرؤيا: كلا، ولكن هل يمنع القرب من الله من قبول الهدية؟

سليمان: نعم، إنهم بهديتهم يفرحون.

برقان الرؤيا يهم بالاستطراد.

آصف: فلتصمت قليلًا، هذه الفترة للاستماع والمشاهدة والفهم.

سليمان: دعه يا آصف، دعه يتعلم، فلقد اقترب موعد العهد.

آصف: ماذا يأمر مولانا؟ أنتجهز؟

سليمان: نعم، فلتجهز جيشًا لا قبل لهم به وجنودًا لم يألفوها من قبل، ولتلقي سفير بلقيس عند حدود مملكتنا، وتخبره أن يرجع بهديته وبأن ما أنعم الله به علينا خير من الذي يفخرون به، وليتجهزوا لحرب لا قبل لهم بها وجنود لا يستطيعون دفعهم ولا نزالهم، وأنهم بعد أن كانوا أسيادًا سيصبحون أذلة بين الأمم، ويحل عليهم العار والدمار وسيصبحون صاغرين.

آصف: أمر مولاي.

أباديباج: أيامرني مولاي بشيء؟

سليمان: كلا، آصف سيتولى الأمر، وإن احتاجك وجنودك سيخبرك.

ولما بلغ الخبر الملكة بلقيس ارتعدت فرائصها وعلمت أن الأمر جد خطير، وأن عليهم السمع والطاعة وأن عليها أن تقبل بنفسها على رسول الله الملك سليمان، وأن إرسال الرسل لن يجدي فأمرت أن يتجهز موكبها وأن يذهب معها جميع حاشيتها ووزرائها وجميع كبراء سبأ.

هذا ما علمه عنبر أثناء لحاقه بموكبها العائد بالهدايا متابعًا لأخبار الموقف لإخبار مولاه بتجهيزات ملكة سبأ. وعاد مسرعًا مبشرًا مولاه بقرب قدومهم، واستشعاره إمكانية إيمانهم بالله عز وجل وتسليمهم للحق واستقامتهم على الطريق.

عنبر: مولاي، أبشر؛ إن القوم قادمون مسلمين ومستسلمين، وعلى رأسهم ملكتهم سبأ.

سليمان: الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات.

آصف: لله الفضل والمنة.

سليمان ناظرًا إلى القوم المحيطين به من إنس وجن مبتسمًا مبادرًا،

سليمان: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟

أباديباج: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.

آصف: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإني عليه لقوي أمين.

وأغمض عينيه داعيًا الله: اللّٰهُمَّ لك الحمد حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، أهل الثناء والمجد وكلنا لك عبد، يا باسط اليدين بالعطايا يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها يا ربنا يا سيدنا يا مولانا يا غايتنا، اللّٰهُمَّ أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر

بنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللّٰهُمَّ ارزقنا العلم النافع والقلب الخاشع والدعاء المسموع، اللّٰهُمَّ أعذنا من السمعة والنفاق والرياء وسوء الأخلاق.

فإذا بالعرش بين يدي نبي الله مستقرًّا أمامه.

سليمان: هذا من فضل ربي؛ ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.

آصف: أيامر مولاي بشيء آخر؟

سليمان: نعم، فلتبن قصرًا منيفًا، نصفه على الماء ونصفه تحت الماء، ذا قبة عالية سماوية، وأرضية ممردة، وضع هذا العرش في قاعته الرئيسية بعد أن تنكره لها.

آصف: أنكره لها؟!

سليمان: نعم، ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون.

آصف: أمر مولاي.

وبالفعل نفذ آصف ما أمر به رسول الله ووقفوا يتحدثون على باب القصر وينتظرون قدوم موكب الملكة.

برقان الرؤيا: بارك الله فيك يا أبي، لقد نفذت ما طلبه منك سيدي سليمان على أكمل وجه. القصر رائع الجمال والكرسي اختلف شكله عما كان.

آصف: لله الفضل والمنة، وليس لنا من الأمر شيء، بل الشكر لله على أن اختارنا ووهبنا القدرة على أن ننفذ مقدراته في أرضه.

برقان الرؤيا: صدقت يا والدي، فهذا فضل عظيم.

أباديباج: السلام على أصحاب السر والعهد.

آصف، برقان الرؤيا: وعليك من الله سلام ورحمة وبركات.

أباديباج: سلم الله يديك وما ولاك فيه يا وزيرنا الجليل.

آصف: سلمت من كل سوء يا سيد قومه.

أباديباج: لو أن لنا جزءًا من قوتك وسحرك لأعناك، لكن مولانا يصطفيك خاصته.

برقان الرؤيا: سحر؟! عن أي سحر تتحدث؟!

أباديباج: ما حباكم الله به ليعينكم على معاونة رسوله الكريم.

برقان الرؤيا: ومن قال أنه سحر؟

آصف: فلتصمت قليلًا يا ولدي. يا أباديباج، إنها جنود الله التي يسخرها لمعاونة أنبيائه، فلا تتعجب الأمر، كما أن الله اصطفاكم معشر الجن بكثير مما عُمي علينا، فدع ما لله لله وما للناس للناس، ولا تقف ما ليس لك به علم.

أباديباج: عذرًا يا سيدي، لكنها رغبة مني في التقرب من الله ورسوله.

آصف: فلتجتهد مع الله، عملك وعبادتك هما الشيء الوحيد الذي سيعاونك.

أباديباج: فقط كنت أريد أن أعرف...

آصف: فلتسأل رسول الله؛ فهو أعلم مني ومنك.

أباديباج: أرجو ألا أكون قد أغضبتك يا سيد آصف، فلتعذر جهلي.

آصف: لم يحدث شيء. فليغفر الله لنا ولك.

أباديباج: أستأذنك؛ لآخذ مكاني بين الصفوف.

آصف: تفضل.

برقان الرؤيا: ما له يا أبي؟

آصف: ما له يا بني؟ لا شيء.

برقان الرؤيا: كنت أعتقده يحبنا ويتقرب إلينا، لكني استشعرت عدم راحته لما أنعم الله به علينا.

آصف: لا تجعل شيئًا يشغلك من أمور البشر، فالحب والكره والغيرة كلها بين يدي الله. يا بني، دع الأكوان وكن مع المكون؛ يسخر لك الأكوان بما تحوي، واعلم أن ما عند الله يُنال بالتفاني فيه وطاعته، ففرِّغ قلبك لله، واعلم أن كل ما يشغل قلبك من أمور البشر يأخذ من شغلك بالله ويحول بينك وبين ما أراده الله لك، فاحذر نفسك.

برقان الرؤيا: يا والدي الحبيب، لو تعلم ما تفعل بي كلماتك، ويكأنها تغسل قلبي بماء اليقين، وتطهر روحي من الأكدار والأغيار. اللّٰهُمَّ أحسن استخدامنا فيما تحب وترضى، واصطنعنا لك وخل بيننا وبينك حتى لا يحول بيننا وبينك حائل، ولا يشغلنا عنك شاغل.

آصف: اللّٰهُمَّ تقبل منه يا رب العالمين، واجعله وريث عهدنا معك.

برقان الرؤيا: وما العهد يا أبي؟ لطالما أردت أن أعرف.

آصف: كل شيء بميقات؛ فلا تتعجل الأمور، وانتبه؛ إن موكب الملكة بلقيس قد أتى ومولانا سليمان سيكون هنا لاستقباله.

برقان الرؤيا: يا له من موكب جليل تتضح فيه علامات الجمال والترف والفخامة.

آصف: ها هو مولانا قادم لاستقبالها تحمله الرياح.

برقان الرؤيا: أنظر يا أبي، إن الموكب ليس فقط على الأرض، يوجد أيضا موكب للطيور في السماء تتقدمهم الهداهد.

آصف: نعم يا ولدي، إن الهدى هدى الله، يهدي إليه من يشاء،وما هذه الطيور إلا أمم أمثالكم.

برقان الرؤيا: أدعو الله أن يهديها وقومها لدينه الحنيف، وأن يشرح صدورهم للإيمان.

آصف: آمين، إنه الكريم الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات.

(١٤)

مسكين أحمد، ما أطول الأيام التي يمر بها الآن، أحيانًا يمر اليوم لحظة، وأحيانًا يمر العمر دهرًا من طول وعظم الأحداث التي تجري فيه، هذا ما قاله الطيف الذي كان يرمق أحمد من بعيد بنظرات حانية مشفقة.

يوم آخر جديد، يستيقظ فيه أحمد أكثر هدوءًا وسكينة، يصلي ويغير ملابسه ويتحرك بخطوات المستقر لتناول طعام الإفطار في هدوء، محاولًا استجماع كل طاقته وتركيزه لما هو مقبل عليه، ويودع مدام فاطمة ويأخذ طريقه للشركة. مظهره أكثر تأنقًا، وخطواته أثبت من ذي قبل، وقال ملقيًا التحية على مديرة مكتبه،

احمد: صباح الخير يا مس هنا.

مس هنا: صباح النور يا فندم.

أحمد: ممكن المديرين الماليين والتنفيذيين بتوع الشركات يجوا لي على الظهر كدا؟

مس هنا: آه طبعًا يا فندم، أبلغهم إن فيه اجتماع؟

أحمد: آه لو سمحت.

ودخل مكتبه ووقف بضع دقائق أمام صورة عم حمزاوي، لكنها من سنوات عدة، قارنًا الفاتحة، محاولًا دمج الشخصين في رأسه: عم حمزاوي، وعلي الدمراوي، راجيًا من الله العون والمساعدة فيما هو مقدم عليه، واستقر

على مكتبه وأخذ يقلب في الملفات محاولًا فهم ما تحويه، وقد وجد بعض الصعوبة، قطع عليه خلوته أيمن والأستاذ شريف ملقيًا التحية.

أستاذ شريف: صباح الخير، إيه النشاط دا كله؟!

أحمد: صباح النور يا أستاذ شريف، أهو بحاول أفهم الدنيا ماشية ازاي.

أستاذ شريف: الدنيا ماشية زي الفل، ما تشغلش بالك انت، أنا مظبط كل حاجة، كله تحت السيطرة، عايزك تشغل بالك تنبسط ازاي وتهيص ازاي.

أحمد: أكيد، عايزينك تشوف شغلانة للأستاذ دا، مش هيقعد كدا.

أستاذ شريف: أيمن دا حبيبي، ما تقلقش هشوف له حاجة كويسة.

أحمد: آه على فكرة، أنا طلبت من السكرتارية يقولوا للمديرين الماليين والتنفيذيين للشركات يجوا الساعة ١٢ علشان نعمل اجتماع.

أستاذ شريف: اجتماع؟ وما له، ليه بقى؟

أحمد: يعني، فيه إدارة جديدة عايزين ننشئها.

صمت الأستاذ شريف أن أكمل.

أحمد مسترسلًا: إدارة للأعمال الخيرية، عايز يكون ليها موظفينها زيها زي أي إدارة وتتابع زي باقي الشغل، يعني مثلًا مستشفى خيري، نبني مسجد، مجموعة عمايل للناس اللي بيوتها بتقع، كدا يعني.

أستاذ شريف: وإيه كمان؟ هنسيب الشغل اللي بيجيب دهب ونعمل الحاجات دي؟ إيه رأيك نبيع سبح كمان؟ ما هو أصل أنا موعود.

تنحنح وأكمل في خجل: ما تزعلش يا احمد، الفترة اللي فاتت اللي علي

اختفى فيها أنا اللي كنت مسؤول فيها عن المؤسسة بكل شركاتها؛ فيصعب عليَّ تيجي في لحظة تجلي تاخد قرار يوقع الشركة. يا ابني، اعمل خير بس مش كدا علشان الدنيا ما تقعش.

أحمد: ما تقلقش، أنا فكرت في الموضوع دا، وكمان هناخد الاقتراحات في الاجتماع الجاي، ونشوف بعدها.

أستاذ شريف: تمام، أنا رايح المكتب اللي جهزوه لي بدل دا، وهابقى آجي على الاجتماع. لو عزت حاجة قبلها كلمني. سلام.

أحمد: سلام.

وظهر على أحمد بعض الضيق.

أيمن: مقاطعًا بطريقته الساخرة إيه يا عم؟ ما لك؟

أحمد: ما فيش، حاسس إن الأستاذ شريف هيقف قصادي في موضوع الأعمال الخيرية دا، ومش عارف أتصرف ازاي.

أيمن: بص، هو عنده حق، حاسس إنك جي تبعتر الفلوس، لكن بالراحة كدا اقنعه، وكمان واحدة واحدة علشان الدنيا ما تفتحش منك وما تعرفش تلمها.

أحمد: ربنا ييسر الحال.

وقبل بداية الاجتماع

أحمد للأستاذ شريف: ما تقلقش، واقف جنبي وساعدني والدنيا هتمشي كويس.

أستاذ شريف: حاضر، ما تقلقش، أنا أساعدك وانت كمان ساعدني.

أحمد: أساعدك؟!

وبدأ الاجتماع، واقترح أحمد فكرته في صمت وذهول من أغلب الحضور، وطلب منهم اقتراحتهم ورؤيتهم في الهيكلة الجديدة

أحد الحضور: طب حضرتك هتعمل للموضوع دا ميزانية قد إيه؟

أحمد: مش عارف بالظبط، يعني تلت الصافي.

الأستاذ شريف ينتفض قائلًا: كام؟!

أحمد: نطلع كل المستقطعات وبعدين ناخذ التلت، ثم إن مش الحاجات دي بتقلل الضرايب في حدود علمي؟

وطال الاجتماع في نقاشات عن الكيفية والاقتراحات، وانفض بالاتفاق على موعد آخر لاستكمال النقاش.

وقام الأستاذ شريف ولا يخفى غضبه: أظن أنا كنت ساكت أغلب الوقت وما اعترضتش، أمَّا نشوف أخرتها. سلام.

شعر أحمد ببعض الضيق وخرج من الشركة قاصدًا المكان الذي يرتاح فيه قلبه والذي طالما كان قبلته عند أي مشكلة أو ضائقة تواجهه. اتجه لمسجد سيدنا الحسين، وشعر كأنه لم يأت من سنين، وأخذ في الدعاء والبكاء حتى هدأت نفسه، واقترب منه رجل لا يعرفه، وجلس قبالته.

الرجل الغريب: أهلًا يا ابني.

أحمد: أهلًا يا حاج.

الرجل الغريب: اتأخرت ليه ؟

أحمد: أنا؟!

الرجل الغريب: آه، ليك أمانة عندي، وانت عارف إن الأمانة تقيلة قوي، حتى الجبال ما قدرتش عليها.

أحمد: آه يا والدي، تقيلة قوي، وانا أكتر واحد عارف دا.

الرجل الغريب: ما تقلقش يا حبيبي؛ اللي معاه ربنا ما يخافش من حد. خد دا

أحمد: إيه دا؟

الرجل الغريب قال مبتسمًا: دا خاتم سليمان.

أحمد: إيه؟!

الرجل الغريب: من مدة كدا جالي واحد طيب وعلى باب الله، إداني دا ووصفك ليَّ زي ما انت دلوقتي كدا بالظبط، قال هتلاقيه غريب حيران، ومن يومها وانا مستنيك وبدور عليك.

أحمد: أخذه بسعادة بالغة أكيد عم حمزاوي، بص، دا على مقاسي بالظبط، والعقيق اللي بحبه كمان، شوف كدا.

ورفع رأسه، وجد الشيخ قد اختفى، هب واقفًا للبحث عنه ولكن لا أثر له. شعر بالقلق، ولكن سعادته بالخاتم كانت تغلبه أكثر. خرج وتمشى قليلًا بين شوارع مصر العتيقة حتى شعر برغبة في النوم، فعاد المنزل ملقيًا بنفسه على السرير مستسلمًا لنوم عميق.

استيقظ أحمد على رنة محموله، أخذه بتكاسل ليرى من المتصل: مريم؟

هب سريعًا.

أحمد: ألو، مريم، إزيك؟

مريم: أهلا يا احمد. أنا قلقتك؟

أحمد: لا خالص، تمام.

مريم: عارفة إنك بتصحى بدري، فقلت ألحقك قبل ما تتشغل.

أحمد: أنا فايق والله، بطلي الخجل دا.

مريم: تمام. أنا كنت لميت لك المحاضرات وكتبتها لك، فاضل ١٠ أيام على الامتحانات، اوعى تكسل عنها.

أحمد: لا أكسل إيه، دا أنا عشت عمري بحلم باليوم دا.

مريم: إنت عارف إنك موهوب ومثقف وجرايد ومجلات كتير ومواقع التواصل كمان كانت بتنشر مقالاتك، مش عايزة الموضوع الجديد دا ينسيك حلمك.

أحمد: لا طبعًا، أنا بس علشان في الأول والموضوع اتطور بسرعة كبيرة بس، لكن الكتابة دي يعني أنا. فاكرة أمَّا كنا بنحلم نعمل جريدة ودار نشر؟

مريم: آه طبعًا، ودي حاجة تتنسي.

أحمد: خلاص، يمكن كنا في ساعة إجابة، وربنا استجاب، متهيأ لي ما فيش مشكلة دلوقتي إننا ننفذ دا أول ما نخلص امتحانات، نمشي في الموضوع دا على طول.

مريم: بس احنا كان حلمنا إننا نشتغل ونتعب لحد ما نحقق حلمنا.

أحمد: يا ستي، ربنا عايز يريحنا ويعدي لنا كام سنة من التعب، ثم مين قال إننا مش هنتعب علشان نثبت نفسنا؟ مش عايزين يتقال شباب صغير ما لوش خبرة.

مريم: أيوه، بس انت شغال على نفسك من زمان، بتكتب وبتنقد وبتعمل ندوات ثقافية.

أحمد: آه، بس دا شغل هواة، لكن اللي احنا رايحين له دا شغل محترفين، هناك فرق يا أستاذة.

مريم: ماشي يا أستاذ.

أحمد: بصي عمالة تتكلمي وما قلتليش هاخد المحاضرات ازاي.

مريم: زي ما تحب، عايز تيجي الجامعة، عايز تيجي البيت براحتك طبعًا.

أحمد: بصي، هاعدي عليكي لما تخلصي، وبعدين أوصلك. أنا كنت محتاج أتكلم مع دكتور حسين شوية. خلاص اتفقنا؟

مريم: على ه كدا كويس؟

أحمد: آه كويس.

مريم: هستناك.

أحمد: سلام مؤقت.

مريم: سلام يا احمد.

وقام أحمد منتشيًا، مكملًا طقوس استيقاظه، ومتناولًا فطوره، متجاذبًا أطراف الحديث مع مدام فاطمة، ثم انطلق إلى الشركة. في هذه الأثناء كان

أستاذ شريف وأيمن يتبادلان أطراف الحديث.

أستاذ شريف: يا سلام يا أيمن لو كنت انت مكان أحمد، كنا سوينا الهوايل.

أيمن: أرزاق، الواد أحمد دا مبخت أصله.

أستاذ شريف: إيه اللي ممكن يجيب معاه؟

أيمن: ولا أي حاجة، صدقني، ما تحاولش.

أستاذ شريف: إنت ما تعرفنيش، أنا ما بزهقش من المحاولة، وكل واحد ليه دَخلة. إتك انت ع الصبر بس وشوف، ما هو يا بنات يا فلوس يا مركز ما حدش ما لوش نقطة ضعف أدخل له منها.

أيمن: وانت شايف إيه بقى نقطة ضعف أحمد؟

أستاذ شريف: ممكن نبدأ بالبنات، فى السن دا ممكن تجيب معاه.

أيمن: ما البنات مالين الكلية، بس هو عادي، يمكن بيميل لمريم سنة، بس عادي برضه.

أستاذ شريف: دول بنات دول، أنا هاعرفه على كريمة المجتمع: ممثلات، مطربات، موديلز، واشوف مين فيهم هتعرف تأثر عليه.

أيمن: وانا ما تنسانيش والنبي.

أستاذ شريف: إنت حبيبي، بس زن لي على دماغه وخليه يسمع كلامي ويثق فيَّ.

أيمن: دا أنا هتلاقيني نحلة منتشرة في دماغه.

أحمد: السلام عليكم. بتنموا على مين ع الصبح؟

أستاذ شريف: عليك طبعًا يا ابو حميد.

أحمد: خيرًا؟
أستاذ شريف: عايزك تبدأ تحضر حفلات مجتمع، وتتعرف على ناس، والناس تعرفك، إنت دلوقتي رجل أعمال ليك وزنك.
أحمد: هو أنا ملاحق على اللي أنا فيه؟ ثم إن ما فيش وقت اليومين دول؛ إحنا داخلين على امتحانات، ولا نسيت يا أيمن بيه؟
أيمن: ليه السيرة الغم دي بس؟ بحاول أنسى والله بس مش عارف.
أحمد: يا واد انت، إنت بتكتب حلو جدًّا، ما تستهونش بنفسك.
أيمن: كتابة إيه يا عم؟ الحاجات دي ما بتأكلش عيش اليومين دول.
أحمد: الله يهديك يا ابني. أستاذ شريف ورانا إيه النهاردا؟ علشان أنا عندي معاد على خمسة كدا، فلو فيه حاجة نخليها بدري شوية.
أستاذ شريف: ما فيش مشكلة خالص، بس معاد إيه؟ نحب نطمن عليك.
أحمد لا اطمن، هاخد ورق من مريم زميلتي في الجامعة.
أستاذ شريف ضاحكًا: حبيبي، روح وانبسط واستمتع ع الآخر.
وأكمل أحمد اليوم بين الاجتماعات والتوقيعات والمواعيد مع بعض العملاء والموردين حتى أتى معاد مريم وكان ينتظرها على باب الجامعة.
مريم: إزيك يا احمد؟
أحمد: إزيك يا مريم؟ إيه أخبارك؟
مريم: تمام. إنت اللي عندك الجديد دايمًا.
أحمد: أيوه بقى، شوفي يا بنتي لما رجل أعمال زيي يتواضع ويتنازل، لا ويجي في معاده، وهو أمر لو تعلمون عظيم.

مريم: والله رجل الأعمال دا هياخد محاضراتي وعصارة فكري وممكن يتنازل عنها وما يجيش براحته، عادي جدًّا على فكرة.

أحمد: لا لا، هنهزر بقى؟ أنا ما ليش بركة إلا انتي.

مريم: أيوه كدا، نظبط الأداء.

أحمد: تحبي نقعد نتغدى ونتكلم شوية ولا أروحك على طول؟

مريم: لا، هنتغدى عندنا في البيت، ماما وبابا مستنينا.

أحمد: حلو دا، واحشني أكل الدكتورة. طب تعالي نشرب حاجة.

مريم: تمام.

أحمد: بصي يا ستي، إحنا هنخلص الجزء النظري في الرسالة، وانتي فاضل لك حاجات بسيطة في موضوع البحث بتاعك، أنا هأجل البحث شوية صغيرين.

مريم: ليه كدا بس؟

أحمد: والله هخلصه، ما تقلقيش، بس الدنيا تتلم معايا. المهم، بعد الامتحانات على طول تختاري المكان اللي هنعمل فيه المجلة بتاعتنا ودار النشر وتبدأي في تخليص الورق والحركات دي وانا المصاريف عليَّ.

مريم: يا سلام! هو دا اتفاقنا؟

أحمد: خلاص بقى يا ست مريم، يعني يبقى ربنا رزقنا من واسع فضله واحنا نقعد نستنى سنين ضوئية على ما نجهز؟ خليني أكمل بس.

مريم: اتفضل.

أحمد: عايزك تعملي كل حاجة باسمك.

مريم: نعم! هنهزر بقى؟

أحمد: يا بنتي، يعني لو محتاجين نمشي ورق ولا حاجة يفضل الموضوع متعلق لحد ما آجي؟ وكمان ما تقلقيش، هاكتب عليكي وصولات أمانة.

مريم: لا يا شيخ، خوفتني.

أحمد: بصي، إنتي أكتر حد أنا بثق فيه دلوقتي، حتى الواد اللي اسمه أيمن، قايم نايم مع شريف، ما اقدرش أعمل معاه كدا، مش قلة ثقة، بس هو مستهتر وضاربها طبنجة.

مريم: بس يا احمد حاساها مسؤولية كبيرة.

أحمد: أنتِ لها يا أستاذة، وانتي أكتر واحدة عارفة أنا عايز إيه من الموضوع دا، مش مهم الربحية قد الجدية، والجدية المقبولة مع شوية حاجات لذيذة علشان الناس ما تقفلش مننا، يعني جدية مغلفة.

مريم: تمام، ما فيش مشكلة.

أحمد: شكرًا يا مريم، ربنا يخليكي ليَّ، مش فيه غدا بتقولي، يلا بقى، ولا إيه؟

مريم: أيوه يلا، يا دوب، هاكلم ماما أقول لها إننا جايين علشان تجهز الأكل.

مريم، أحمد: السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

د. منى، د. حسين: وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته.

د. منى: اتأخرتم كدا ليه يا ولاد، يلا، الكل جاهز، يلا اتفضلوا.

أحمد: تعرفي يا دكتورة؟ ما باكلش بقلب جامد وبسعادة ومزاج كدا غير هنا.

د. منى: بيتك يا حبيبي، إنت عارف، إنت ابني، مش محتاجة أقول لك.

مريم: ما تصدقيهوش يا ماما، كان لسه بيشكر في مدام فاطمة مديرة البيت.

أحمد: تصدقي انتي شريرة، الست كويسة وعاملة اللي عليها، المشكلة فيَّ، بتعامل مع المكان من بره.

د. حسين: معقول لسه ما اندمجتش في الموضوع يا احمد؟! لا تركز كدا.

أحمد: بحاول والله يا دكتور، بس محتاج لك معايا.

د. حسين: تحت أمرك في أي حاجة.

أحمد: بس أنا عايزك معايا هناك.

د. حسين: مش اتكلمنا قبل كدا في الموضوع دا؟

أحمد: بس أنا محتاج لك بجد، طب تمسك المشاريع الخيرية، وتكون جنبي لو احتجت أي استشارة.

د. حسين: وصلتم لإيه في الموضوع دا؟

أحمد: لسه بيدرسوه، بس مستكترين التلت.

د. حسين: بعد شوية الحاجات دي هتصرف على نفسها، مش هتحتاج مصاريف خارجية.

ورن هاتف أحمد قاطعًا حديثهم.

أحمد: ألو، أستاذ شريف، إزيك؟

أستاذ شريف: خلصت مشوارك؟

أحمد: حبة كدا واخلص، خير فيه حاجة؟

أستاذ شريف: عايزك في موضوع ضروري، ما تعدي تسهر معايا شوية لما تخلص، إنت عارف أنا مش بنام بدري.

أحمد: خلاص، هاخلص واعدي عليك.

أستاذ شريف: مستنيك يا حبيبي.

أحمد: سلام.

مريم: خير؟

أحمد: لا مفيش، أستاذ شريف عايزني ما اعرفش فيه إيه.

مريم: ما بستريحلوش الراجل دا.

أحمد: هو غريب ووراه حكاية، بس عادي يعني.

وأكمل أحمد جلسته محاولًا إقناع د. حسين بمعاونته في العمل آخذًا منه وعدًا بالتفكير في الموضوع وانصرف شاكرًا، وخرج متجهًا للفندق الذي اعتاد أن يقابل فيه الأستاذ شريف، ورن عليه قبل الوصول ليتأكد من مكانه، والتقيا.

(١٥)

سليمان: مرحبًا بالملكة بلقيس ملكة سبأ.

بلقيس: مرحبًا بالملك الجليل، إنه لشرف عظيم أن ألتقي بك.

سليمان: تفضلي، لتنالي قسطًا من الراحة أنتِ والقوم، لعل الطريق شقَّ عليكم.

بلقيس: لا بأس ببعض الراحة، ولكن هلا أخبرتني كيف تطير هكذا.

سليمان: أنا لا أطير، ولكن ربي سخر لي الريح تجري بأمري رخاءً حيث أصيب.

بلقيس: يا له من إله عظيم!

سليمان: تفضلي، هذا القصر شُيِّدَ لإقامتكم.

بلقيس: في ذهول هذا شيد لنا في هذه الأيام القلائل؟

سليمان: مبتسمًا نعم، هذا من فضل ربي، ومما سخر لي من معاونيين.

سليمان مستطردًا: سيكون معك وزيري آصف وولده، حتى تأتوني في المساء.

آصف: مرحبًا بملكة سبأ.

بلقيس: مرحبًا بك.

آصف: فلتتفضلي بلداخل، أنتِ وحاشيتك.

بلقيس: هذا قصر رائع.

آصف: سيدتي الملكة، لا يغرنكِ البهرج الخارجي، فما يحوي في طياته أجل وأعظم.

بلقيس: أشعر بالذهول والرهبة منذ أتيت.

آصف: لا شيء يدعو لهذا، أنتِ ضيفة كريمة حلت بمملكتنا ولها كل الحقوق، حتى يأذن الله بأمره.

بلقيس: وكيف يأذن الله؟

آصف: أن يشرح صدرك للإيمان، أو أن يصرفك عن دينه.

بلقيس: أهذا هو الإذن؟

آصف: نعم، تفضلي، هذه القاعة أعدت لمجلسك.

بلقيس: تتلعثم من عجيب ما رأت.

آصف: أهكذا عرشك؟

بلقيس: محاولة لإخفاء اضطرابها، كأنه هو.

آصف: سوف أتركِكِ الآن لترتاحي، وسآتي في المساء لاصطحابك لرسول الله في أرضه، الملك سليمان، سلام الله عليك.

بلقيس: فلتنعم بيوم طيب، ولتحفظك الآلهة.

آصف: إنما هو إله واحد.

بلقيس: فليحفظك.

بلقيس: أصليهان..

أصليهان: أمر مولاتي.

بلقيس: انظري مليًّا لهذا العرش، أو ليس عرشي؟!

أصليهان: وكأنه هو مولاتي، ولكنه مختلفًا بعض الشيء.

بلقيس: جالسة على العرش، أكاد أجزم أنه هو.

أصليهان: ولكن كيف يا مولاتي؟ لقد تركناه بالأمس القريب.

بلقيس: آه يا سليمان، أردت أن تبهرني وتصيبني بالذهول، وفعلت.

أصليهان: إن له هيبة تفوق هيبه الملوك، وتحيطه هالة من نور.

بلقيس: نعم، من في مثل مكانته لن يفاوض أو يتنازل عن ما هو عليه.

أصليهان: ولِمَ يا مولاتي؟ نحن نملك القوة والأموال أيضًا.

بلقيس: لا، إنه يملك ما هو أكبر من القوة وأكثر من المال.

أصليهان: وما هو؟

بلقيس: يقين وثقة عجيبان، وكأن لا شك عنده فيما يريده.

أصليهان: وماذا ستفعلين يا مولاتي؟

بلقيس: سأنتظر الإذن.

أصليهان: أي إذن؟

بلقيس: أخبرني وزيره أن الإذن هو أن يشرح صدري للإيمان أو أن يصرفني عن دينه.

أصليهان: وبما تشعر مولاتي؟

بلقيس: يميل قلبي لما يفعله سليمان، أشعر أنه حق، لكن أخشى التسليم فتضيع مملكتي.

أصليهان: لو أنه حق كما تستشعرين، فستثبت المملكة.

بلقيس: وكيف هذا؟

أصليهان: الذي يثبت ويبقى هو القائم على الحق،

أما القائم على الباطل فمهما ظهرت قوته فهو إلى زوال.

بلقيس: أتعلمين يا وصيفتي الجميلة لِمَ أنتِ الأقرب لقلبي؟

ولِمَ أخشى من اليوم الذي تفارقينني فيه إلى مخدع زوجك؟

أصليهان: في خجل لِمَ يا مولاتي؟

بلقيس: لأن كلامك يريح قلبي، وبه الكثير من العقل مغلف بالرحمة.

أصليهان: هذا من فضل مولاتي وحبها وودها.

بلقيس: كلا يا أصليهان، سيكون لك بيت جميل وشأن عظيم، وتتحدثين وقتها بأن ملكتك هي أول من أخبرك بهذا.

أصليهان: لن أقبل بمن يفرقني عن مولاتي؛ إن حياتي لا تكتمل من دونك.

بلقيس: سنرى ما تخبئه لنا الأيام. هيا لقد طال بنا الحديث، أريد أن أستريح لأتجهز لموعد سليمان التالي، أريد أن أكون في أبهى حللي.

أصليهان: مولاتي الجميلة، جمالك هو ما يضفي جمالًا على الحلل.

بلقيس: هل تفقدتِ القصر وعرفتِ أين مخدعي؟

أصليهان: نعم يا مولاتي، إنه قصر مكتمل يا مولاتي.

بلقيس: نعم، إنهم يهتمون بالتفاصيل، هيا لأستريح.
برقان الرؤيا: أيها الحارس أخبر الملكة أن الملك سليمان في انتظارها.
الحارس: تفضل استرح حتى أبلغ وصيفتها.
الحارس: الأميرة أصليهان، رسول السلطان حضر لاصطحاب الملكة للملك سليمان.
أصليهان: إني قادمة.
أصليهان: عمت مساءً يا سيدي.
برقان الرؤيا: عليكِ سلام الله يا أميرة.
أصليهان: ما أجمل هذه التحية، لقد تعلقت بقلبي.
برقان الرؤيا: عسى الله أن يعلق قلوبكم بما هو أبقى وأدوم.
أصليهان: ستكون الملكة جاهزة بعد قليل.
برقان الرؤيا: سأنتظرها حتى تنتهي.
أصليهان: حللت أهلًا، سأذهب لمولاتي.
برقان الرؤيا: تفضلي.
بلقيس: أنا مستعدة للذهاب.
برقان الرؤيا: تفضلي يا ملكه سبا.
بلقيس: أتعمل مع الملك من وقت طويل؟
برقان الرؤيا: كان جدي يعمل مع نبي الله داود عليه السلام وورث أبي الوزارة وانتقل للعمل مع نبي الله سليمان.

بلقيس: إذن أنت من سلالة متأصلة في الوزارة.

برقان الرؤيا: لله الفضل والمنة أن اختارنا دون غيرنا ومنَّ علينا وهدانا للطريق.

بلقيس: لكم طريقة خاصة في الحديث، وكأن ليس لكم من الأمر شيء.

برقان الرؤيا: نعم، إن الأمر كله لله، وما نحن إلا أداة لتنفيذ مقدراته في الكون.

بلقيس: والعقل والذكاء والتدبير ليس لهم شيء؟

برقان الرؤيا: يمكن للعقل أن يضلنا، والذكاء دون التوفيق نقمة، والتدبير دون الدخول في المعية الإلهية تدمير.

بلقيس: أصبت.

برقان الرؤيا: ها قد وصلنا الصرح، فلتتفضلي بالدخول.

بلقيس: ما هذه اللجة؟ وكشفت عن ساقيها خشية البلل.

سليمان: إنه صرح ممرد من قوارير.

بلقيس: كيف لهذه الأسماك والكائنات البحرية أن تحيا هكذا وأن نسير فوقها هكذا؟

سليمان: أتعجبين من أمر الله.

بلقيس: لا، لم أعد أعجب بعد، منذ اليوم الذي أتاني فيه الهدهد وأنا أعلم أني مقدمة على أمر جلل، ومن اللحظة التي وطأت قدماي مملكتك طار عقلي من هول ما رأيت.

سليمان: ألم يأن بعد أن يخشع قلبك لذكر الله وتهتدي إلى طريقه القويم؟

ألا ترين أن عبادة الله أقوم وأعدل من السجود للشمس التي هي عبد من عباد الله، أليس...

بلقيس: يكفي يا نبي الله، إني ظلمت نفسي بعبادتي للشمس، وأسلمت معك لرب العالمين، فليقبلني الله.

سليمان: يا رب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على ما هديتنا وهديت بنا.

بلقيس: سأخرج إلى القوم، وأخبرهم خبر إسلامي، وأدعوهم إلى الله، وهم يعلمون أمري فيهم ورأيي بينهم مطاع، سيسلمون إن شاء الله.

سليمان: هلا أخبرتهم بخبر آخر إن أردتِ.

بلقيس: وما هو؟

سليمان: أن تصبحي زوجتي على طاعة الله ورضاه.

ابتسمت خجلًا، وخرجت من الصرح تتحدث مع وزرائها وقومها الواقفين بالباب، وكان الملك يقف بجوارها.

بلقيس: ثم أما بعد، فالسلام علم من اتبع الهدى. قومي الأعزاء وشعبي الحبيب، تعلمون مقدار إعزازي لكم وتوقيركم ومشورتكم في كل الأمور، لكن ما عظم من الأمر وجل فلا مشورة فيه، فكما شرح الله صدري للإيمان أدعوكم أن تسلموا معي لنبيه الكريم الملك سليمان، واعلموا أن هذا أمري فيكم. من آمن فهو مني ومن لم يؤمن فإنما حسابه على الله.

القوم: إنما الأمر والرأي لك، وقد وافقناكِ فيما فعلتِ وآمنا بما آمنتِ به.

بلقيس: إذن أشهدكم أني أسلمت حكم سبأ لنبى الله سليمان، كما أعلمكم أنني تحت ولايته، ليس كملكة أو متبعة لدينه فقط، وإنما كزوجة مطيعة مسلمة.

القوم: نعم الأمر، بورك لكما، ما أسعدنا بهذا الخبر! لقد منَّ الله علينا.

سليمان: وإني أعلن تثبيتي للملكة بلقيس في حكمها على مملكة سبأ، وأعلن زواجي بها.

تهلل القوم فرحًا وأقيمت الموائد وذبحت الذبائح تيمنًا بهذا الزواج المبارك الذي جمع الله به شمل الملكين، وسعادة بدخول القوم في الدين الحق، وأصدر الملك سليمان أوامره لآصف بن برخيا أن يتولى الجن أمر بناء ثلاثة قصور للملكة بلقيس، وفي هذه الأثناء تكررت رؤية برقان الرؤيا للأميرة أصليهان مما وجد شغفًا في قلبه، ومما رأى من حسن إيمانها وكأنها ولدت لتكون موحدة لرب السماوات، مع ما أضفاه الله عليها من لمحة جمال تخجل العيون من أن تطيل النظر إليها، وعقل وحكمة تأسر العقول. ليتها لا ترحل، منذ حلوا بهم وهو لا يحسب اليوم الذي لا يراها فيه، ويتحين الفرص ليذهب لقصر مولاه عندما يكون مع الملكة بلقيس؛ عسى أن يراها أثناء دخوله أو خروجه، وجل ما يخشاه أن يظهر ما حل به للناظرين. وبعد مرور ما شاء الله به من وقت همت الملكة أن تعود لمملكتها على ما اتفقت عليه مع الملك سليمان من قرب الزيارة ودوام الود.

برقان الرؤيا: مولاي، مولاتي اقترب موعد رحيلها، وأبي في انتظار الملكة باليمن لاستقبالها في قصورها وتعريفها بهم.

سليمان: نعم، نعمَ الوزير أبوك، نعمة من مكون الأكوان.

بلقيس: نعم، وبرقان الرؤيا أيضًا فتى جلد يعتمد عليه، بورك فيه أينما حل وصحبته الدعوات وحلت عليه البركات.

برقان الرؤيا: لله الفضل والمنة، ولمولاي ومولاتي الشكر، لم نفعل إلا ما أمرنا الله به واستخدمنا فيه. اللّٰهُمَّ اجعلنا عند حسن ظنكم فينا، وأعنا على أداء الأمانة كما ينبغي لها أن تكون.

بلقيس: ولكني أستشعر بعض الحزن، أبكَ شيء من أسى يا برقان الرؤيا؟

برقان الرؤيا: كلا يا مولاتي، لكنا آنسنا بكم، ويشق علينا رحيلكم.

سليمان: مبتسمًا رحيلهم جميعًا يا برقان الرؤيا أم شخص بعينه.

برقان الرؤيا: عما تتحدث يا مولاي؟!

سليمان: لا تنس أني رسول الله، وأنك كالابن لي.

برقان الرؤيا: اعذر جهلي يا مولاي ولا تؤاخذني.

سليمان: سيدتي بلقيس، هل لك أن تتركي لنا شيئًا غاليًا عليكِ، رأفة بحال هذا الفتى العاشق، وأملًا في امتداد الود بيننا؟

بلقيس: وما هذا الشيء؟

سليمان: إنها الأميرة أصليهان، إذا تكرمتْ ملكتها بالتخلي عنها وتركها لتؤسس حياة مع ولدنا برقان الرؤيا.

بلقيس: يا ويح قلبي، كيف لي أن أحيا من دونها أو أستغنى عنها؟

برقان الرؤيا: ومن قال يا مولاتي أنك ستحيين من دونها؟ كلما جاء مولاي

سليمان للزيارة أتينا معه، وفي أي وقت تطلبيننا ستجديننا.

بلقيس:مبتسمة لما استشعرت من صدق برقان الرؤيا في حديثه: حسنًا، سأخبرها الخبر وإن رأت أن تبقى هنا، لن أرى شيئًا آخر، وسأدعو لكما بالسعادة ودوام المحبة بينكما.

سليمان: لا تقلق يا ولدي سترجع الملكة بالرد في وقت ليس بالبعيد، وما يريده الله يسير.

برقان الرؤيا: أعلم أنه لن يخذلني؛ فقد بت الليالي أرجوه أن يجمعني بها على طاعته، وأعلم أنه لا يرد دعاءً من قلب صادق رجاه.

بلقيس جاءت متجهمة ويظهر عليها الأسى وجلست بجوار الملك سليمان، ونظرت له نظرات غير مفهومة.

برقان الرؤيا: خيرٌ يا مولاتي؟بلقيس: خيرٌ إن شاء الله، ولكن...

برقان الرؤيا: لا بأس لا بأس، اللّٰهُمَّ يسر لها الخير حيث كانت وارزقها. مولاي، سأذهب لتفقد الأمور وسأعود متى احتجتني.

بلقيس: أطال الله عمرك يا ولدي، لقد اختارت أصليهان أن تبقى معك على أن ترحل مع مليكتها، أي عدل هذا؟!

تهلل وجه برقان الرؤيا حد البكاء. شكرًا لله شكرًا لله. يا مولاتي، لقد زادت الأطواق حول عنقي لكم، لكن لا أعدكم إلا بالمزيد من الطاعة؛ فقد بلغ بي الوفاء لكما منتهاه وطاعتكما.

سليمان: اعلم أن الطاعة لا حد لها وأن عهد الطاعة لآت؛ فتجهز له كما

تتجهز لزواجك من حبيبتك، بل هو أقوى؛ فهو حب لله وعهد مع الخالق المكون المهيمن الذي حين يختارك يسخر لك الأكوان ويمدك بمدد السماء وقوة الأرض حتى تتحمل ما سيعرض لك. اذهب يا بني، بارك الله فيك وأعانك.

برقان الرؤيا: اللّٰهُمَّ اجعلني أقوى على حمل الأمانة، ولا أنوء بها ولا أحيد عنها مهما عظمت عليَّ الخطوب.

بلقيس: اللّٰهُمَّ آمين، هيا يا برقان الرؤيا، أريد أن أحضر زفاف وصيفتي قبل رحيلي؛ فالتسرع في تجهيزاتك؛ لتسعد مولاتك.

برقان الرؤيا: أمر مولاتي.

برقان الرؤيا

بالفعل تم زواجي بأصليهان بمباركات من مولاي ومولاتي وأبي وكبراء المملكتين، ووجدتها نعم الزوج، ذات وجه صبوح، ونعم معين الطريق، توقظني لنقوم الليل قائلة: هيا لنكثر ما بيننا وبين الله حتى يكون لنا العون إذا أخطأنا، ويمدنا بالزاد في الطريق. ومرت السنون، ولا تزيدني عشرتها إلا حبًّا، وكلما رأيتها أستشعر أول مرة رأيتها فيها، ورزقت منها بالبنين الطيعين العابدين الذين أدعوا الله أن لا يخرج العهد من ذريتهم حتى نلقى ربنا، ونشهده على صدقنا معه وحملنا للأمانة وتوصيلنا الرسالة وحفظنا للعهد.

(١٦)

وتقابل أحمد مع أستاذ شريف في حالة من الترقب من ناحية أحمد، والتدبير من ناحية شريف.

أستاذ شريف: أهلًا أهلًا يا ابو حميد.

أحمد: أهلًا يا أستاذ شريف، إزيك؟

أستاذ شريف: أنا كويس، إنت انبسطت في مشوارك؟

أحمد: متعجبًا من السؤال عادي يعني.

أستاذ شريف: يعني المشوار دا ما فيهوش بنوتة قمورة؟

أحمد: لا خالص، أنا في إيه ولا في إيه؟

أستاذ شريف: أيوه، إيه بقى، ما لك واخدها على صدرك كدا ليه؟ إنت في دا جد جدا: الانبساط والسعادة والفرفشة والشوبينج، ما تضيعش أحلى سنين عمرك في الجد، وتيجى وقت ما تحب تهلس ما تعرفش وتكون عجزت. أنا معاك ما تقلقش، ووافقت على كل المشاريع اللي طلبتها وما عارضتكش، تفتكر ليه؟

أحمد: ليه؟

أستاذ شريف: أولًا علشان تنبسط وما تشغلش بالك، ولما تلاقي اللي بتطلبه بيتحقق تركز تفكيرك في السعادة، مراد كل البشر. إنت في وضع بيحسدك

عليه كتيييير. سنك وشكلك وظروفك الجديدة يخلوك حاجة تانية، وانت مصمم ما تخرجش من القالب اللي انت عامله لنفسك.

أحمد: بالنسبة ليَّ أنا ما عنديش مشكلة ومستمتع، هو بس الموضوع ترتيب أولويات، ممكن معنى كلمة السعادة بالنسبة ليَّ غير معناها بالنسبة ليك، لكن ما تقلقش هنبسط وأزقطط وكل اللي نفسك فيه، وبالنسبة لثانيًا اللي لسه ما عرفتهاش؟

أستاذ شريف: ليَّ عندك طلب، لا اتنين.

أحمد: إنت تؤمر طبعًا.

أستاذ شريف: الأولاني بسيط ومش مهم قوي، هو سؤال، علي الدمراوي؟

أحمد: الله يرحمه، ما له؟

أستاذ شريف: سايب لك إيه تاني غير الفلوس؟

أحمد: انخطف قلبه وواحمرت عيناه، سائلًا نفسه نفس السؤال، أكيد فيه حاجة تانية، يمكن يقصد الكتاب اللي في الصندوق؟ إزاي تاه عن بالي؟ وهو عايز منه إيه؟

أستاذ شريف: ما لك سرحت في إيه؟

أحمد: بفكر، يكون ساب لي حاجة تانية وانا مش مركز فيها.

أستاذ شريف: أصل هو بيجمع مخطوطات وكتب قديمة وحاجات كدا، فمش عارف حطها فين، قلت يمكن تكون معاك.

أحمد: لا خالص.

أستاذ شريف: بثقة عمومًا مش مهم، هتبان وتجيلي لوحدها، ما تشغلش بالك انت. ثانيًا بقى يا سيدي، واوعى تكسفني فيه زي أولًا.

أحمد: مستنكرًا لا طبعًا، أنا أقدر أكسفك؟

أستاذ شريف: لي لي، بنت أخويا، عايشة في أمريكا وجاية بكرة من السفر.

أحمد: توصل بالسلامة إن شاء الله.

أستاذ شريف: أخويا هاجر من عمر وخلف لي لي هناك، الموضوع فيه كذا مشكلة؟

أحمد: خير إن شاء الله، ربنا ما يجبش مشاكل.

أستاذ شريف: أول حاجة: ما لهاش أصحاب هنا، وكمان هتعيش فين؟ زي ما انت شايف، أنا عايش في أوتيلات ما بحبش عيشة البيوت، بس هى عايزة تعيش في جو أسري، فكرت أستأذنك في مدام فاطمة وافتح لها الفيلا بتاعتي، وبعدين قلت على إيه؟ ما تيجي تعيش معاك في الفيلا، إذا ما كنش دا يضايقك، أهو منها تونسك ومنها مدام فاطمة تاخد بالها منكم انتم الاتنين، إذا ما كانش عندك مانع أصلًا، دي تبقى حاجة تانية.

ورمقه منتظرًا رده.

أحمد: بالعكس دا أنا هنبسط خالص، البيت كبير وفاضي، وحضرتك تاخد القرار وتنفذه على طول، مش محتاجة سؤال يعني.

أستاذ شريف: خلاص، بلغ مدام فاطمة تجهز لها الأوضة اللي هتقعد فيها.

أحمد: من عينيَّ حاضر، تؤمر بحاجة تاني؟

أستاذ شريف: ما لك وقفت ليه بس؟ نسهر بقى.

أحمد: لا كفاية كدا، أشوفك بكرة إن شاء الله، سلام عليكم.

أستاذ شريف: سلام يا حبيبي.

ووصل أحمد المنزل ووجد مدام فاطمة في انتظاره.

أحمد: السلام عليكم.

مدام فاطمة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أحمد: لسه صاحية لحد دلوقتي؟!

مدام فاطمة: مش يمكن تيجي محتاج حاجة.

أحمد: ربنا يخليكي بس ما تسهريش نفسك كدا، أنا اللي غلطان، بعد كدا لو هاتأخر هاكلمك علشان ترتاحي. أنا بصحى الاقيكي صاحية وانام وانتي صاحي، بتفكريني بستي الله يرحمها.

مدام فاطمه: الله يرحمها، تيتة، مش ماما يعني.

أحمد: لا ما اقصدش إنك زي ستي، بس أصل أنا.. هي اللي ربتني؛ علشان أمي اتوفت وهي بتولدنى؛ علشان كدا هي اللي في بالي.

مدام فاطمة: متأثرة،يا حبيبي يا ابني، معلش يا أستاذ أحمد أسفه جدًّا.

أحمد: ليه بس؟! ما فيش حاجة خالص، إنتى كمان زي والدتي.

مدام فاطمة: ربنا يجبرك ويعوضك إن شاء الله، وبكرة يرزقك ببنت الحلال وتملا لك البيت دا أطفال.

أحمد: آه بمناسبة الأطفال، بكرة هتيجي بنت أخو أستاذ شريف تقعد

معانا، فممكن تجهزي لها أوضة تعيش فيها؛ علشان هي ما تعرفش حد، ومش عارف يسيبها فين علشان ظروف شغله.

مدام فاطمة: من عيني حاض، هاعمل عشا مخصوص على شرف ضيفتنا الجديدة.

أحمد: تمام، هطلع أريح بقى، وحضرتك كمان، واضح إن يومك هيكون طويل بكرة. تصبحي على خير.

مدام فاطمة: وانت من أهل الخير.

(١٧)

وذات يوم بينما يمر مولاي سليمان يتفقد أمور الرعية تظلله الطيور وحوله الإنس الجن وأبي وأنا بصحبته، إذا بعابد من بني إسرائيل يستوقفه.

عابد بني إسرائيل: السلام عليك يا سليمان يا ابن داود.

سليمان: وعليك السلام يا عبد الله.

عابد بني إسرائيل: والله يا ابن داود لقد ورثت الملك والنبوة كابرًا عن كابر.

سليمان: لله الفضل والمنة.

عابد بني اسرائيل: لقد أتاك الله ملكًا عظيمًا لم ينبغِ لأحدٍ من بعدك ولن ينبغي لأحدٍ من بعدك.

سليمان: والله يا أبي لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أُعطي ابن داود؛ فإن ما أُعطي ابن داود يذهب وإن التسبيحة تبقى إلى يوم الوعد.

عابد بني إسرائيل: إني أردت أن أحذرك من أن يغرك ملكك؛ فالكل راحل راحل لا محالة؛ فحذار من الإرث الثقيل الذي تتركه خلفك، وأن يفتن الناس بعدك.

سليمان: وبما تنصحني يا أبي؟

عابد بني إسرائيل: اتقِ يومًا لا ينفع فيه النصح ولا يغني عنك الملك ولا البنون، اتقِ الله يا سليمان، اتق الله، اتق الله.

سليمان: أسمعت يا آصف ما قاله العابد؟

آصف: نعم يا مولاي.

سليمان: اعلم أنه قد اقترب الأجل، وأن سهم عمري قارب على الوصول لمنتهاه.

آصف: أمد الله في عمر مولاي ومتعه بالصحة والعافية.

سليمان: مهما طال العمر أجل الله لآت. أريد أن أستعد للقاء.

آصف: أمر مولاي، كيف تريد أن أساعدك؟

سليمان: آصف، لقد كنتَ دومًا نعمَ الوزير المخلص والصديق الشفيق.

آصف: إنما هو شرف لي أن اصطفاني الله واختارني مولاي لأكون بجانبه.

سليمان: سأزيد من فترة انقطاعي للعبادة، وستتولى أنت القيام بالمهام في غيابي كما هو عهدي معك، ولكن مع طول المدة.

آصف: أمر مولاي. فلتتعبد كما يحلو لك ولا ينشغل بالك بأمر البلاد والعباد.

سليمان: كما آن الأوان أن أكمل بناء المسجد الذي شرع أبي في بنائه، فلو أتم الله هذا الأمر عليَّ، سيكون هذا هو الملك الذي أرجوه.

آصف: نعمَ الرأي يا مولاي، فلنبدأ من يوم غد، ونسخر من الجن من هو متقن وبارع في عمله، وسيتم إنجاز هذا العمل كما يحب الله ويرضى، وكما يرغب مولانا.

سليمان: حسنًا، سأبدأ من الليلة في الاعتكاف وسآتي بين الحين والآخر لأرى ما وصلت له الأمور، وأتفقد الأحوال، وأنت معك برقان الرؤيا

ليساعدك، ولتستخدم أباديباج وجنوده من الجن والمردة، ولكن لتحذر منه ولا يأسرك طيب حديثه.

آصف: فلتتعبد يا مولاي، ولتذكرنا في دعائك، ولا تشغلك الأمور الآنية، وسأتي بين الحين والآخر لأطلعك على آخر مستجدات الأمور.

سليمان: فليساعدك الله وليعنك على ما أنت مقدم عليه، وليتقبل مني ما أنا بصدده.

آصف: فلتحفظك عناية الله، ولتعد في سلام الله ورعايته.

برقان الرؤيا: السلام عليك يا أبي.

آصف: وعليك السلام يا ولدي، ما حال سير الأمور في بناء مسجد الله؟

برقان الرؤيا: العمل يسير على أكمل وجه يا أبي.

آصف: تعلم أن رسول الله يأتي بين الحين والآخر لتفقد الأحوال، أو أصعد أنا بالأخبار إليه لطمأنته على سير الأمور.

برقان الرؤيا: نعم يا والدي نعم، العمل بخير ولكنهم بنو إسرائيل، ألا سامحهم الله.

آصف: وما بهم يا بني؟

برقان الرؤيا: عز عليهم أن تستقيم الأمور في بناء المسجد وعزلة مولانا للعبادة.

آصف: فلتخبرني يا بني بما قالوا لعل الله يهدينا للصواب قبل أن تخرج الأمور عن نصابها.

برقان الرؤيا: يتناقل الناس حديثًا عن أن مولاي ما هو إلا ساحر، وتنبئه الشياطين بالخبر من السماء، وأن لديه بعض كتب السحر تعينه على الحكم.

آصف: يا ويل بني إسرائيل مما يفعلون، أيتغيرون على نبيهم؟ إنهم قوم لدٌّ. إن وقر هذا في قلوبهم فسيكتب الله عليهم التفرق والتشتت بعد مولاي سليمان ولن يجتمعوا على نبي آخر بعده اجتماعهم عليه.

برقان الرؤيا: وما الحل يا والدي؟

آصف: سأصعد لملكنا؛ أخبره الخبر لعله يرى أمرًا أو يعود ليحكم بين الناس فيما هم فيه مختلفون. على الله توكلنا.

آصف: قد كان الأمر كما رويت لك، فلينظر مولاي ماذا يرى، وعليَّ السمع والطاعة.

سليمان: أيفعلون هذا وأنا بينهم؟ أيتهمونني بالكفر وأنا بين ظهرانيهم؟

آصف: حاشا لله يا مولاي، لكنها فتنة في مهدها. فليرزقك الله رشاد الأمر لوئدها

سليمان: اللّٰهُمَّ برئني منها على لسان رسولك الحبيب، اللّٰهُمَّ نجني مما يرمونني به، اللّٰهُمَّ أنت مولاي ونصيري، أمكر لي ولا تمكر بي، اللّٰهُمَّ أحيني حتى أخرس ألسنة خاضت فيَّ، وإذا جاء أجلي عُمَّ على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. هيا بنا يا آصف لننظر ما الله فاعل بنا.

آصف: تفضل يا رسول الله.

سليمان: أباديباج، أحضر لي من الجن من وسوس للإنس وأثارهم عليَّ، وأنت

يا آصف ألم أعهد إلى بني إسرائيل ألا يعملوا بالسحر؟ فلتأتني بكل ساحر خاض مع الجن. برقان الرؤيا، اجمع لي بني إسرائيل حتى يروا ما عقاب الخائضين في نبيهم.

آصف، أباديباج، برقان الرؤيا: أمر مولاي.

سليمان: يا بني إسرائيل، اسمعوا وعوا، ألا إنى رسول الله إليكم، لست بساحر ولا بكاهن، وإن الله حرم السحر عليَّ وجعله بينكم محرمًا، وقد اتبعتم وصدقتم ما تلته لكم الشياطين على ملكي، ولست بكافر، ولكن الشياطين وأتباعهم من السحرة هم الكفرة، وإن ما بي من نعمة إنما هي خاصة السماء ودعوة دعوتها، وأعطانيها ربي، فأخرجوا الشيطان من قلوبكم وعودوا إلى رشدكم، واعلموا أن الشياطين لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، إنما هم سرَّاقٌ للسمع ويملونه على السحرة فيكتبونه لكم، الحقيقة معهم تحوي ألف كذبة، والكذبة تهوي بكم في بئر سحيق، من تبعهم منكم بعد الآن فهو منهم وعليه ما عليهم. يا آصف، آتني بالشياطين ليحرقوا على أعين الشهود، والسحرة ليلاقوا حتفهم، واجمع لديك كل من كتب بيديه حتى لا يتنقل بين الناس ويشيع أمره.

آصف: أمر مولاي نافذ. قد جمعت ما ورد لنا من السحرة، ها هم السحرة والشياطين بين يديك ليقضي الله أمره فيهم بيمينك.

سليمان: فلتشهدوا عذابهم حتى يكونوا عبرة للحاضر والغائب، وحتى يعلم القاصي والداني ما جزاء السحر. فلتحرقكم نار الدنيا، حتى تلاقوا ربكم فيحرقكم بناره العظمى.

أباديباج: أرجو ألا يكون مولاي غاضبًا مني.

سليمان: كيف وأنت أميرهم تدعهم يفعلون ما فعلوا.

أباديباج: أعدك ألا يتكرر هذا الخطأ الجسيم مرة أخرى، وأرجو أن تستغفر لي الله.

سليمان: سوف أستغفر لك الله المطلع على ما في القلوب. اذهب الآن.

أباديباج: أمر مولاي.

سليمان: واذهب أنت أيضًا يا برقان الرؤيا؛ أريد أن اختلي بأبيك.

برقان الرؤيا: أمر مولاي.

سليمان: هل معك كل المخطوطات المكتوب فيها ما ألقى الشياطين من السحر؟

آصف: نعم يا مولاي، إنها معي، جمعتها في هذا الصندوق.

سليمان: وهل جمعت ما أمليته عليك من الزابور وما تبقى من ألواح موسى وما أوحي إليَّ وكُتبَ في مخطوطات؟

آصف: نعم يا مولاي، كلها معي في هذا الصندوق.

سليمان: هيا ندعوا ونبتهل إلى الله باسمه الأعظم، أن ييسر لنا أمر تحريك العرش ودفن هذه الأوراق حتى لا تصل إلى أيدي العابثين ممن يأتون من بعدنا ويغضبون بها الله، ويسيؤون إلى رسله.

الله يا الله يا مالك الملك والملكوت يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض، اللّهُمَّ أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا، اللّهُمَّ اكشف ضرنا وانظر

في أمرنا وأقبل عذرنا، اللّٰهُمَّ فك وثاقنا من الدنيا واربطنا بحبلك المتين واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللّٰهُمَّ أنت المستعان وإليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء، فقد اشتد علينا الأمر وعظم البلاء فأدركنا يا الله واجعل لنا من أمرنا فرجًا ومخرجًا، سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، اللّٰهُمَّ يا غياثي عند دعوتي، يا عدتي في ملمتي ويا ربي عند كربتي ويا صاحبي في شدتي يا ولي نعمتي اللّٰهُمَّ ارم أعداءنا بالقواصف واضربهم بسيف سخطك وأعنا على الاقتصاص منهم، وسخر لنا ملائكتك، ليعينونا على قضاء أمرك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك. يا الله يا الله يا الله.

آصف: أنظر يا مولاي، لقد منَّ الله علينا بالقبول وها هو العرش يرتفع عن موضعه.

سليمان: نعم يا آصف، إن الله سميع قريب مجيب.

آصف: وماذا سنفعل الآن يا مولاي.

سليمان: سنضع الصناديق في هذه الهوة تحت العرش.

آصف: بسم الله القوي.

سليمان: وها هو العرش يعود لموضعه.

آصف: قد أمنا إذن من أن يضطلع عليها أحد من الشياطين.

سليمان: حتى حين، حتى حين يا آصف.

آصف: و كيف هذا؟

سليمان: إن الله أوحى إليَّ أنهم كاشفو أمرها بعد حين، فليجعل الله فيك وفي ذريتك من بعدك عهد حفظها.

آصف: اللّٰهُمَّ كما مننت عليَّ بفضلك وواسع كرمك باختيارنا للعهد، منَّ علينا بالوفاء به مهما شق علينا الأمر ولا تقدر علينا أحدًا من خلقك، وقنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل هذا آخر عهدنا برسولك الكريم، نلقاه به دون تحويل أو تبديل، موافقين مراد الله ومحققين مغزاه، إن ربي على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

سليمان: اللّٰهُمَّ تقبل يا الله، سأذهب الآن، لأتابع بناء المسجد وأدع لك متابعة الشؤون الخاصة ببني إسرائيل، سلام الله عليكم ورحمته آل العهد.

آصف: وعلى سيدي ومولاي وملك بني إسرائيل ورسول الله في أرضه السلام.

بينما مولاي سليمان في مجلسه أمام الجن الذين يعملون في بناء المسجد وهو قائم في صلاته رأى شجرة تنبت بين يديه.

سليمان: ما اسمك يا أمة الله؟

النبتة: اسمي الخروب.

سليمان: لأي شيء أنتِ؟

النبتة: لخراب هذا البيت.

سليمان: إذن قد حل أجلي، والله إني لمشتاق للقاء ربي. اللّٰهُمَّ كما أنجزتني كل ما وعدتني، أتمم عليَّ فضلك وأعمي عني الجن، حتى يرسخ في عقول وقلوب الناس أن الجن لا يعلمون الغيب, يا أباديباج.

أباديباج: أمر مولاي.

سليمان: سأدخل محرابي وأبدأ في صلاتي، تول أمر الجن،

وإذا عرض لك أمر فمرجعك للوزير آصف، ولا يسألني أحد في شيء، خلو بيني و بين ربي.

أباديباج: أمر مولاي، فلتهنأ بصلاتك ولا تعبأ بأمور الجان،

فالعمل يسير على قدم وساق.

سليمان: ولتبن حول محرابي صرحًا من قوارير لا باب له، فأرى الجن ويرونني، لكن لا يصل إلى أسماعي لغطهم

حين أكون بين يدي ربي.

أباديباج: سأكلف به أمهر الجن عندي وسينتهي في خلال ساعات.

سليمان: هيا انطلق ولتبدأ في عملك.

أباديباج: السلام على مولاي.

سليمان: في حفظ الله ومعيته.

سليمان: من الفتى؟ ومن أذن لك بالدخول في خلوتي دون إجازتي؟

الفتى: أنا الذي لا أقبل إرثًا، ولا أهاب الملوك.

سليمان: حللت أهلًا ونزلت سهلًا، أنا أنتظرك منذ أيام.

الفتى: أتريد شيئًا، أم أنك جاهز للرحيل؟

سليمان: كلا، أنا جاهز ولكن أمهلني دقيقة.

الفتى: ولِمَ؟

سليمان: لأتوكأ على منسأتي، وأدخل في صلاتي، فإني لأرجو الله أن تقبض روحي في صلاتي.

الفتى: تفضل يا نبي الله.

(١٨)

بدأ أحمد يعتاد على حياته الجديدة من استيقاظه وذهابه للعمل مستميتًا في التعلم، فذهب إلى العمل وأخذ منه اليوم ما أخذ.

أيمن: إيه يا عم؟ مش هنخرج؟ طول النهار شغل شغل، ما بتزهقش؟

أحمد: لا يا عم، هنخلص ونروح أهو.

أيمن: لا ما فيش نروح النهاردا بقى.

أحمد: اانهاردا بالذات فيه نروح.

أيمن: إشمعنى؟

أحمد: عندنا عزومة عشاي على شرف الآنسة لي لي.

أيمن: ومين ليلى دي إن شاء الله؟

أحمد: لي لي يا جاهل، بنت أخو الأستاذ شريف، جاية زيارة من أمريكا وهتقعد عندي في الفيلا. هو زمانه جابها من المطار وطلعوا على عندي، وهنتعشى كلنا سوا ترحيبًا بيها.

أيمن: ماشي يا عم، علشان خاطرك انت وأستاذ شريف والست لي لي، بس غريبة إنه يسيبها تقعد عندك يعني.

أحمد: أنا كمان استغربت كدا في الأول، بس واضح إنها صغيرة وعايز مدام فاطمة تاخذ بالها منها.

أيمن: آاااه، طيب لما تدوش وما تعرفش تنام، بيت أخوك مفتوح لك.
أحمد: عمار يا كبير، يلا بينا بقى علشان ما نتأخرش.
أيمن: يلا.
أحمد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
مدام فاطمة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
الجماعة جم؟
مدام فاطمة: آه، الأستاذ شريف والآنسة لي لي جوه في التراس، اتفضلوا على ما أجهز العشا حالًا.
أيمن: آنسة! مش بتقول عيلة؟
أحمد: عايزها تقول البت لي لي جوه، ادخل يا عم.
وما أن دخلا حتى انتابتهما صدمة ألجمت لسانيهما من هول ما رأوا من جمال المدعوة لي لي، فهي فتاة في نهاية العشرينات، مكتملة الأنوثة، طاغية الجمال، هذا بخلاف ملابسها التي تظهر أكثر مما تخفي فهي ترتدي هوت شورت جينز وتيشيرت يظهر أحد كتفيها، ويتهدل شعرها الأشقر على الكتف الآخر، وأخيرًا قطع أحدهم الصمت وكان بالطبع أيمن،
أيمن:هامسًا هي دي الطفلة اللي هتبات معاك؟! أنا راشق على فكرة.
أحمد: شششششش، السلام عليكم، إزيك يا أستاذ شريف؟ حمد الله على سلامة الآنسة لي لي، ويلكم تو ايجبت.
أستاذ شريف: الله يسلمك يا أحمد.
لي لي بلهجة تكسوها الرقة والدلع: الله يسلمك.

ولما ظهر الذهول على وجهه: أنا بتكلم عربي كويس، من البيت وبعدين من دراستي في الجامعة.

أحمد: أهلًا وسهلًا.

أيمن: نورتي والله، حقيقي يعني منورة.

لي لي: شكرًا، وشكرًا ليك يا احمد. أنكل شريف قال لي إني هقعد عندك.

أحمد: حضرتك هتنوري، ولو تحبي أسيب لك البيت خالص علشان تكوني براحتك ما فيش مشكلة والله.

لي لي: لو عملت دا يبقى أنا أمشى وانت تستنى؛ دا بيتك انت.

أحمد: خلاص ما فيش مشكلة، وحتى الأستاذ شريف يقعد هنا بدل موضوع الأوتيل اللي بيحبه دا.

أستاذ شريف: لا، ما لكوش دعوة بيَّ، إنتم شباب زي بعض تقعدوا مع بعض.

أيمن: الله يخليك يا أستاذ شريف، هو دا العشم والله، جت منك وما جتش من صاحبي وعشرة عمري.

أحمد:غارقًا في الضحك أيمن، اطلع بره، ما فيش أكل كمان.

وضحكوا جميعًا حين أخبرتهم مدام فاطمة أن المائدة معدة، وتناولوا العشاء، وسهروا قليلًا، وأستأذنتهم لي لي لترتاح من السفر، وخرج بعدها أستاذ شريف وأيمن على مضض، وقام أحمد مصليًا وقارئًا في كتاب الله، مبتهلًا أن يقيه الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويهديه إلى أرشد أمره.

استيقظ أحمد محاولًا تذكر ما رآه ليلة أمس: قصرًا وملكًا وصحراء وجبلًا، أشياء غريبة يراها كثيرًا ملتبسة، دائمًا ما يحاول تذكرها أو ربطها ببعضها، ولكن تأبى الذاكرة أن تسعفه. تجهز للخروج وجلس لتناول الفطور.

مدام فاطمة: مش كنت تستنى الآنسه لي لي تفطر معاها؟

أحمد: لا، ما هي ممكن تتأخر، خليها براحتها، هي جاية من سفر طويل.

مدام فاطمة: عندك حق.

لي لي: قادمة من الخارج جود مورنينج.

أحمد: صباح النور، أنا بحسبك لسه نايمة.

لي لي: نايمة إيه؟! أنا صحيت من بدري وخرجت أجري شوية.

أحمد: بدري كدا؟! برافو عليكي.

مدام فاطمة: طب اتفضلي افطري مع أستاذ أحمد.

لي لي: أوكي، إنت جاهز بدري كدا ورايح فين؟

أحمد: رايح الشغل.

لي لي: إيه دا؟! وانا هاقعد لوحدي؟! لا، هاقوم أجهز واجي معاك.

أحمد: تنوري، بس أكيد مش هتنبسطي؛ شغل ودوشة وقعدة مكاتب.

لي لي: فيه نت هناك؟

أحمد: آه.

لي لي: يبقى أكيد مش هزهق، لحد ما تخلص وتخرجني.

أحمد: إحم، طيب استني هنا وابقى آجي أخدك.

لي لي: نو، لو مش هاضايقك هاجي.

أحمد: مش هيضايقني.

لى لى: هاجهِّز حالي.

أحمد: مهمهما، إيه الورطة دي؟ لي لي، ممكن طلب؟

لي لي: شور.

أحمد: بلاش اللبس القصير دا في الشغل، ممكن؟

لي لي :مبتسمة أوكيه جاية لك حالًا.

أحمد: لله الأمر من قبل ومن بعد.

وذهبت معه للشركة ووفر لها لاب توب في مكتبه جلست عليه تتصفح المواقع وتقوم بعمل شوبنج من عليها.

أيمن: البت جامدة يا احمد.

أحمد: اتلم.

أيمن: قاعد معاها في بيت واحد ازاي؟!

أحمد: عادي.

أيمن: يا قلبك! حد يبقى معاه الصاروخ دا ويبقى عادي؟!

أحمد: بقول لك إيه، بدل الرغي دا تعالى نقرأ شوية في الورق اللي جابته مريم.

أيمن: يييييه، يا ابني العلم في الراس مش في الكراس.

أحمد: طب أقعد ساكت شوية؛ عايز أقرا شوية، عايز أخلص الامتحانات دي بأي شكل؛ علشان يبقى فاضل أكمل البحث، ولا أقول لك قوم وسيبني شوية.

أيمن: حاضر يا سيدي، قايم أهو.

لي لي: بتقرا في إيه يا احمد؟

أحمد: بذاكر، عندي امتحان آخر الأسبوع الجاي.

لي لي: معقول لسه ما خلصتش مذاكرة؟!

أحمد: لا، دي مذاكرة للماجيستير.

لي لي: واو! أنا كمان بعمل ماستر، وجاية ألم شوية ورق، يمكن ألاقي هنا اللي ما لقتهوش هناك.

أحمد: ربنا يوفقك.

لي لي: الماستر بتاعك في إيه؟

أحمد: «رسالة في فن السرد القصصي لحكاية نبي الله سليمان، مقارنة بين ورودها في القرآن والتوراة وكتب السحر القديمة»

لي لي: واو! إنت عارف إيه موضوعي؟ مش هتصدق في إيه، «اللاهوت والناسوت ومدى تأثيرهما على أخبار الإسرائيليات في القرآن والتوراة»

أحمد: بتهزري! غريبة إن واحدة زيك تعمل ماجيستير في الموضوع دا.

لي لي: يعني إيه واحدة زيك؟ تعرف عني إيه علشان تقول واحدة زيك؟!

أحمد: آسف والله، مش قصدي حاجة وحشة، قصدي شكلك ما يوحيش

بدا، وانتي كمان عايشة بره بعيدة عن الجو دا تدرسي عن الإسرائيليات! مش غريبة دي؟!

لي لي: ممكن يكون عندك حق، بس أنا في الأصل مصرية مسلمة، وليَّ أصدقاء يهود فاستهواني أعرف الفرق بين الأديان وإيه المشترك واتكعبلت في الإسرائيليات، في الموضوع شدني وكملت فيه.

أحمد: أنا بكرر أسفي، إني حكمت عليكي من مظهرك، ودا مش طبعي خالص، وحقيقي أنا مستمتع بالكلام معاكي.

لي لي: طب ممكن نكمل الكلام بتاعنا واحنا بنتغدى على النيل؟

أحمد: أكيد، يلا بينا.

وأخذهما الحديث وطال بهما، حتى كاد الليل أن ينتصف، وعادا للمنزل لا لانتهاء الحديث الشيق بينهما ولكن لتأخر الوقت، على وعد بتكملة الحوار في الغد القريب؛ فكلٌّ منهما أثار عقل الثاني بمعلوماته وغرائب ما جمعه حول مواضيع دراستهما الشيقة.

وعندما استيقظ أحمد وتجهز للخروج ونزل لتناول إفطاره وجد لي لي بانتظاره.

لي لي: رجعت بدري النهاردا؛ خفت تفطر من غيري زي امبارح.

أحمد: كنت هاستناكي ما تقلقيش.

لي لي: نمت كويس؟

أحمد: آه الحمد لله، وانتي ؟

لي لي: أنا كمان نمت كويس. مصر بلد جميل ومريح.
أحمد: هتجهزي وتيجي معايا الشغل؟
لي لي: نو، هاروح المكتبة النهاردا، وانت روح الشغل، ولما تخلص نتكلم.
أحمد: تمام، مش محتاجة حاجة طيب؟ أسيب لك العربية بالسواق؟
لي لي: ثانكس، أُنكل شريف باعت لي عربية بسواق.
أحمد: طيب، سلام عليك، ولو احتاجتي حاجة كلميني.
لي لي: وعليكم السلام، أكيد.

(١٩)

أحد الجن: مولاي أباديباج..

أباديباج: ماذا بك؟

أحد الجن: فلتنظر إلى ما بنبي الله.

أباديباج: سيدي سليمان؟! وما به؟

أحد الجن: يبدو أنه أغشي عليه.

أباديباج: ويحك، ماذا تقول؟!

أحد الجن: أقسم لك يا مولاي، إنه سقط في صلاته.

أباديباج: فلتزيلوا هذا الصرح حالً. مولاي، مولاي..

أحد الجن: ما به، ألا يفيق؟

أباديباج: إن رسول الله قد قضى نحبه.

أحد الجن: أمات رسول الله؟!

أباديباج: فلتأتوا بالوزير آصف؛ لينظر ماذا سنفعل.

أحد الجن: أمر مولاي.

آصف: رحم الله رسوله الكريم وأحسن مقامه في عليين.

أباديباج: اللّهُمَّ آمين.

آصف: متى حدث هذا؟

أباديباج: من وقت يسير، سقط من على منسأته.

آصف: كلا والله، إنه من وقت طويل.

أباديباج: وكيف هذا؟

آصف: لم تسقط المنسأة من يد مولاي، إنها سقطت لأنها فرغت من الداخل.

أباديباج: ماذا؟

آصف: أنظر، إن الأرضة قد فرَّغتها، يبدو أنه ميت منذ وقت طويل.

أباديباج: وكيف نعرف هذا؟

آصف: لنرى ماذا تأكل الأرضة في اليوم والليلة، وننظر الكمية التي أكلتها من عصا مولاي، فتتبين لنا المدة التي أتمتها فيها.

أباديباج: الرأي رأيك.

آصف: أرأيت يا أباديباج؟ مولاي توفاه الله من عام كامل.

أباديباج:بحزن يأبى مولاي إلا أن يتركنا نعمل صاغرين.

آصف: ولِمَ؟

أباديباج: لا شيء يا سيدي، إنما هي حاجة في نفس رسول الله وقد قضاها الله له. فليرحمه الله، وليغفر لنا ذنوبنا وإصرافنا في أمرنا.

آصف: مبتسمًا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

أباديباج: غاضبًا مستاءً سأذهب الآن للتشاور مع الجن في بعض أمورنا، وأرجو أن لا نختلف في تقسيم المهام بيننا بعد موت مولاي.

آصف: لا خلاف إذ سننهج نفس نهج مولانا ولن نحيد عنه.

ظل أبي آصف يحكم البلاد ويرعى شؤون العباد حتى يستقر أمر بني إسرائيل. وفي هذه الأحيان بدأ أباديباج عمله مع قبيلته من الجن على الإفساد في الأرض والتفريق بين بني إسرائيل.

أباديباج: يا معشر الجن، لقد طالت فترة حكم الإنس لنا منذ أن جعل الله لرسوله سليمان سلطانًا علينا، حتى يئسنا من الحرية التي اعتدناها لطول الأمد الذي حكمنا فيه، ولكن ها قد انكسر بموته قيدنا واستعدنا حريتنا، ولنعمل على تسخير الإنس لخدمتنا كما خدمناهم فيما مضى من الوقت.

أحد الجن: نعمَ الرأي يا مولاي.

أحد الجن: نعم، لقد استعبدونا.

أحد الجن: لقد أذاقنا سليمان ألوان العذاب..

أحد الجن: حرقًا وحبسًا وتعذيبًا.

أحد الجن: لم يعد أحد يخشانا أو يعبأ بنا.

أحد الجن: لكن هذا الزمان قد ولى.

أحد الجن: على يديك يا مولانا سنستعيد أمجادنا.

أباديباج: فلتعيروني الأسماع والعقول.

أحد الجن: كلنا آذان صاغية عقول واعية.

أباديباج: سنعمل على جذب الناس بالترهيب والترغيب، واستعادة مكانة السحر والسحرة بينهم، والتمكين للسحرة، ووعدهم بالمال و الجاه.

أحد الجن: أنت تعلم يا مولاب مهارتنا في هذا.

أباديباج: نعم، لكن لا تتعجلوا الأمر؛ أريد أن يحتاجنا الناس، ويعلموا أن الخير معنا وأن ما لا يقدر عليه المال يقدر عليه الجان.

أحد الجن: أمر مولاي.

أباديباج: وأنا عليَّ أمر آخر لا يقل أهمية عن كل مساعيكم.

أحد الجن: وما هو يا مولاي؟

أباديباج: عليَّ أن أعلم أين خبأ نبي الله سليمان كنوزه.

أحد الجن: أي كنوز؟

أحد الجن: نحن نأتيك بما تريد من الكنوز.

أباديباج: ليست كنوز سليمان في الذهب والفضة والجواهر.

أحد الجن: هل يمكن أن يوضح لنا مولاي؟

أباديباج: الكنوز في التابوت وما حوى، هذا هو الكنز الحق الذي به لن نملك بني إسرائيل فقط، بل سنملك الدنيا قاطبة.

أحد الجن: وكيف ستصل لهذا؟

أباديباج: آصف بن برخيا.

برقان الرؤيا: هلك بني إسرائيل يا والدي.

آصف: فلتهدأ يا ولدي، ما الخطب؟

برقان الرؤيا: إنهم عادوا لسابق عهدهم من السحر والشعوذة والتنجيم، ولم يعبأوا بتحذيرات مولاي سليمان لهم.

آصف: بهذه السرعة؟! إن نبي الله قريب عهد بنا.

برقان الرؤيا: بئس القوم هم.

آصف: ومن يعاونهم في أعمالهم؟

برقان الرؤيا: بعض السحرة يزعمون أنهم يعلمون الغيب، ويأتون بالأعاجيب.

آصف: لن يفعلوا هذا وحدهم.

برقان الرؤيا: أباديباج..

أباديباج: سيدي آصف، كيف حالك؟

آصف: لله الفضل والمنة، وأنت يا أباديباج، كيف حالك؟

أباديباج: في خير حال.

آصف: أرى أنك أطلقت رعاياك يسعون في الأرض فسادًا.

أباديباج: حاشا لله أن أفعل هذا يا سيدي.

آصف: إذن ما بال السحرة انتشروا وذاع أمرهم؟

أباديباج: أليس دائمًا ما نسعى له هو إسعاد الناس وتلبية رغباتهم؟

آصف: ومن قال هذا؟ دائمًا ما نرجع هدفنا وطريقنا ومآلنا إلى الله، فإذا كان فيه سعادة

العباد فنعم، وإلا فطاعة الله أوجب. لا سعادة في معصية مهما تزينت.

أباديباج: ومن قال أننا نعصي الله؟ إنما محبته في قلوبنا، ولكنك تعلم ما عانيناه في الحقبة الماضية، وآن الأوان كي نرتقي ونعلو فالأيام دول، يومًا أقبل أن تكون سيدي، ويومًا تقبل أن أكون سيدك، هكذا تعلمنا من الحياة.

آصف:مبتسمًا، أن تقبلني سيدًا فهذا ما اعتدته منذ أمد بعيد، أما أن أقبل أن تكون سيدي فأنا لا أقبل بعد سيدي سليمان سيدًا.

أباديباج: سوف تقبل؛ الأيام كفيلة بأن تنسينا سابق عهد، وتحينا حياة نرضاها.

آصف: اللّهُمَّ ارضنا في الدارين، واجعل العاقبة لنا في الأمور كلها.

أباديباج: فلنر ما ستفعله الأيام.

آصف: ليفعل الله ما يريد.

أباديباج: إلى لقاء قريب، لم ينته بيننا الحديث بعد.

أباديباج: أرسلوا لي في طلب أبانوخ، الساعة الساعة.

أبانوخ: مولاي أباديباج، لكم سررت لإرسالك في طلبي.

أباديباج: أريدك أن تعاونني في أمر ما.

أبانوخ: إنه لشرف كبير لي، وأي شرف أن أعاون ملك الجن ورئيسهم، لكن اؤذن لي أن أعرف المهمة الموكلة إليَّ.

أباديباج: آصف.

أبانوخ: وما لآصف؟

أباديباج: أريد فتنته، أريد أن يكون لي تأثير عليه، وأن يخضع لأوامري.

أبانوخ: لكنه وزير نبي الله سليمان.

أباديباج: أو يعجزك؟

أبانوخ: كلا، ولكن، ما يكون لي إن فتنته لك؟

أباديباج: أيكفيك أن تتولى بني الأحمر؟

أبانوخ: وأن أكون وزيرك؛ فأي شرف يكون لي بجوار ولايتي لقبيلة من أكبر قبائل الجن إلا أن أكون وزيرك أيضًا؟

أباديباج: نعم، ولكن إن لم تنجز مهمتك؟

أبانوخ: ما أستحقه أناله، أنت تعلم أنني لا يعجزني شيء وأن جنودي هم الأكثر شرًّا والأطول باعًا بين قبائل الجن.

أباديباج: إذن اتفقنا، إما الوزارة والرئاسة، وإما أن تكون من الصاغرين وذريتك إلى يوم الدين.

أبانوخ: أجزت الاتفاق. انتهى الاتفاق العام، أتريد شيئًا خاصًّا لفتنته، أم أحاول معه بطرقي الخاصة.

أباديباج: بل افعل ما يحلو لك، على أن تأتيني به لينَا هينَا طائعًا؛ لأستخلص منه ما أريد من معلومات.

أبانوخ: وماذا تريد أن تعرف منه؟

أباديباج: لا يعنيك وليس من شأنك، افعل ما تؤمر به دون جدل.

أبانوخ: أمر مولاي. أستأذنك في الانصراف.

أباديباج: تفضل يا أبانوخ، ولتأتني بالأخبار سريعًا.

أبانوخ: فلتنتظر مني الخبر اليقين في أقرب وقت.

أباديباج: أريد أن تضيق الحياة عليه، أريدك ورجالك أن تغلقوا كل السبل في وجهه حتى لا يكون له سبيل إلاي.

أبانوخ: أعلمتِ ما عليكِ فعله يا نائلة؟

نائلة: علمت يا سيدي.

أبانوخ: أريدكِ أن تستخدمي كل ما لديك من قدرات أنثوية خاصة لتعليقه بكِ وإضعاف إيمانه وسلب لبه.

نائلة: هل هذه أول مرة؟!

أبانوخ: كلا، ولكنها مختلفة؛ إنه وزير سليمان، وهو من أتقى الرجال الآن؛ فهي مهمة صعبة لو أردتِ تصنيفها؛ ولهذا اخترتكِ أنتِ بالذات.

نائلة: تشرفني الثقة الكبيرة. سأذهب لتجهيز نفسي.

أبانوخ: لك الله يا آصف، كيف ستنجو من بين يديها؟

الغوث! النجدة! أغيثوني يا قوم! يا هووووو!

آصف: قاطعًا خلوته ما الخطب؟ ما بكِ يا امرأة؟

...: أغثني يرحمك الله! خبئني بالله عليك!

آصف: لا تخشي شيئًا؛ فأنتِ في أمان الله. من تخشين؟

...: الآن أخشى قطاع الطرق، لكني لا آمن شيئًا في الأساس.

آصف: ادخلي صومعتي واهدأي؛ فلن يتعرضوا لكِ هنا.

قوم يركبون الخيل: يا هذا، هل مرتْ بكَ فتاة؟

آصف: ومن القوم؟

القوم: لا شأن لك، فقط أجب.

آصف: تأدبوا في الحديث؛ فأنتم تتكلمون مع آصف بن برخيا.

القوم: وزير الملك سليمان، وحاكم بني اسرائيل؟! فلتعفُ عنا، إنه الجهل بشخصك لا بفضلك.

آصف: لا عليك، عما تبحثون؟ لعلي أستطيع المساعدة.

القوم: أمة اشتريناها وهربت منا، لكن لا بأس سنجدها أو يعوضنا الله خيرًا منها، بإذنكَ يا سيد قومه.

آصف: معك الإذن والسماح، وصحبتكم السلامة.

آصف: فلتهدئي من روعك؛ رحل القوم.

....: لا أدري كيف أشكرك يا سيدي.

آصف: لم أفعل ما أستحق عليه الشكر.

....: كيف هذا وأنت حميت امرأة ضعيفة من عصبة من الرجال؟!

آصف: هذا حقكِ، لم أفعل إلا الواجب.

....: هذا حال أهل المروءة والشهامة.

آصف: لقد ذهب القوم، إن أردت الذهاب لأي مكان يمكنك الآن.

....: وأين أذهب، لا مأوى لي.

آصف: وكيف هذا؟! أدعو الله ألا أكون قد خُدعتُ فيكِ وتكوني أمة هاربة كما ادعى القوم.

....: حاشاي أن أخدع من مد لي يد العون.

آصف: إذن فلتقصي عليَّ قصتك.

....: اسمى ساندرين، ابنة سيد قومه. أغار علينا اللصوص وأسروني وبعض

النساء والأطفال كسبايا وعبيد وقتلوا الرجال وهدموا الديار وسلبوا جميع الأموال والأغراض واستطعت أن أهرب منهم بأعجوبة ووجدت قافلة تسير، التحقت بها، فهجم علينا قطاع الطرق وسبوني للمرة الثانية حتى مكنني الله من الهرب منهم ووقفوا لي كالمرصاد الحامي، والآن، لا أنا حرة فأعود أدراجي، ولا أنا عبدة فأخدم سيدي ولكنني عوان بين ذلك، لا أدري ماذا أفعل، فأشر عليَّ أيها الكريم.

آصف: لا تخشي شيئًا؛ نجوتِ من القوم الظالمين. إن أردتِ الارتحال إلى أي قبيلة جهزناك وأرسلنا معك الحماية حيث تريدين، وإن أردت البقاء بقيتِ معززة مكرمة حتى تري ماذا تفعلين.

ساندرين: ولكن أين أذهب؟ لا أجد من آوي إليه؟. إن لم أسئ الأدب هلا بقيتُ معكَ؛ فبجوارك شعرت بالأمان الذي ضاع مني مع ضياع الأهل والقبيلة.

آصف: حللتِ أهلًا ونزلتِ سهلًا، من اليوم أنتِ فش حمى الله، ثم عبده الفقير.

ساندرين: هل لي أن أعرف من صاحب الفضل عليَّ الذي طوقني بطوق لا يحله إلا الموت؟

آصف: أنا آصف بن برخيا.

ساندرين: وزير نبي الله سليمان؟!

آصف: نعم.

ساندرين: طالما سمعت عنكَ وعن قوتكَ وشجاعتكَ وحكمتكَ إلى حد جعلني أتخيلكَ كهلًا كبيرًا، ليس كما أراكَ الآن.

آصف: مبتسمًا، لم أطلب منك رد الجميل - إن كنت أعتبره جميل - بهذه السرعة.

ساندرين: أتعتقد أنني أبالغ فيما أقول؟!

آصف: إنني أعتقد أنكِ بحاجة للراحة؛ فقد مررتِ برحلة عصيبة. هيا تفضلي إلى قصري، سأجهز لك جناحًا خاصًّا حتى أبني لكِ بيتًا خاصًّا بكِ.

ساندرين: لا توجد كلمة شكر أو امتنان تكفي ما تفعله معي.

آصف: الله وحده المستحق لكل كلمات وأحوال الشكر، إنما نحن محض أدوات لتنفيذ إرادته في الكون.

وبعد مرور بضعه ايام من اقامه ساندرين بقصر آصف.

ساندرين: سيدي آصف.

آصف: نعم يا سيدتي، هل ينقصك شيء؟

ساندرين: كلا، تمر الأيام على وجودي هنا ولا أستشعر أي نوع من الغربة في وجودي هنا؛ فأردت..أردت..

آصف: ماذا أردتِ؟ لا تخجلي من شيء، اطلبي ما شئتِ.

ساندرين: أردت أن أعبر لكَ عن امتناني، ولكني لا أملك شيئًا إلا أن أدعوكَ لتناول الطعام الذي أعده بيدي، إذا سمح مولاي ومنَّ عليَّ.

آصف: لا تشغلي نفسك وتجهديها.

ساندرين: أرجوك يا سيدي، لا تبخل عليَّ بالسعادة.

آصف: السعادة في الطهو؟

ساندرين: كلا، السعادة في أن أفعل لكَ شيئًا، وأن أطمع في بقاء وقت أطول مع سيدي ذي الأيادي العالية.

آصف: إذا كان هذا ما يسعدك، لا بأس، سأتناول اليوم الطعام معك.

ساندرين: سأنتظرك من الآن يا مولاي، بإذنك.

آصف: عجيب أمر هذه الفتاة!

برقان الرؤيا: أتحدثني يا والدي؟

آصف: كلا يا برقان الرؤيا، كلا.

برقان الرؤيا: ما بوالدي الحبيب؟

آصف: إنها الضيفة ساندرين.

برقان الرؤيا: وما بها يا والدي؟ هل دق الحبُّ باب أبي وسيدي؟

آصف: حب؟ أي حب يا ولدي؟ ولكني أتعجب لأمرها.

برقان الرؤيا: وفيما العجب يا أبي؟

آصف: أمور شتى يا ولدي.

برقان الرؤيا: أنا لست ولدك فقط، أنا وزيرك وصديقك أيضًا كما تقول لي دومًا، فلتفتح قلبك لي وارو لي ما يشغل بالك يا والدي الحبيب.

آصف: من يوم أن رأيتها تحتمي بي من لصوص الطريق وأنا أفكر فيها،عطرها يملأ طرقات البيت، حتى غرفتي، طيفها يشغلني في مجلسي لقد رأيتها تدعوني لها في منامي.

برقان الرؤيا: متهللًا إنه الحب يا أبي، هذا ما حدث لي مع أصليهان، ألا تذكر؟

آصف: كلا يا ولدي، هناك شيء مختلف: نظراتها غامضة حركاتها مشجعة، وكأنها تقول لي لا تجعل شيئًا يمنعك مني.

برقان الرؤيا: وما العجب؟ لعلها أحبتك أيضًا يا أبي، لا تنس أنها وحيدة ولا أحد لها، فربما تريد أن تضمن البقاء والحماية والعيشة الكريمة معك.

آصف: ربما يا ولدي ولكن هناك شيئًا يغشى قلبي، أن لا تقترب منها، هناك حائل داخلي يوقفني رغم كل ما يؤثر عليَّ.

برقان الرؤيا: أرى إن كان الأمر كما رويتَ أن تتزوجها، لتريح قلبك وتعود لذاتك كما كنت، ولا يشغلنك عن الله وما أقامك فيه شيء

آصف: ليفعل الله ما يريد. إني أبتهل إليه كل ليلة في قيامي أن يهديني سبيل الرشاد ولا أراه مضيعي؛ لا لحسن عملي ولكن لجمال وود ورفق منه بعباده.

برقان الرؤيا: أسأل الله أن يجمع عليك شملك، وأن يهديك لأرشد أمرك.

آصف: اللّٰهُمَّ استجب.

آصف: السلام عليكم.

ساندرين: تبدو في أروع هيئة، وعليكم السلام والود و المحبة.

آصف: ما هذا السلام الشهي مثل هذا الطعام الذي يبدو عليه أنه شهي؟

ساندرين: لا تحكم قبل أن تتذوق يا مولاي.

آصف: ولكن لِمَ كل هذا؟ هل دعوتِ بني إسرائيل معنا؟

ساندرين: كلا، ولكن هذا ما يليق بكَ يا سيدي.

آصف: أشكركِ، ولكني لا أسرف هكذا في الطعام؛ حتى لا أتكاسل عن صلاتي الليلية.

ساندرين: وهل يضيرك إذا تأجلت يومًا، القلوب تحتاج اللهو، والأبدان تحتاج الراحة.

آصف: كلا، فإن دواء قلبي العبادة وليس اللهو، وبدني يرتاح بين يدي ربي.

ساندرين: هلا بدأت في طعامك قبل أن يبرد، يجب أن تتذوق من جميعه.

آصف: سلمت يداك.

ساندرين: سلمت لي من كل سوء.

آصف: إنه لذيذ، لم أذق أشهى منه في حياتي.

ساندرين: هكذا كل شيء معي.

آصف: ماذا تقصدين؟

ساندرين: أي شيء ستتذوقه معي، ليس كأي شيء تذوقته في حياتك.

آصف: وهل هناك ما أتذوقه معك خلاف الطعام؟

ساندرين: بالتأكيد، هلا صببتُ لكَ كأسًا من نبيذ؟

آصف: حاشا لله أن أفعل.

ساندرين: ولِمَ ؟

آصف: من سكر بحب الله لا يسكر بغيره، ومن أراد أن يجد حلاوة السكر في غير مرضاة الله، حرمه الله من سكره بحبه.

ساندرين: أترجع كل أمورك إلى هذا النحو؟ ألا تلهو؟ ألا تمرح؟

آصف: من قال لك هذا؟ ولكن لذة الطاعة تغني عن بقية اللذات.

ساندرين: وهل جربت جميع اللذات حتى تحكم؟

آصف: ماذا تعنين؟

ساندرين: لقد حرمت نفسك من اللذات، قانعًا بعدم جدواها، ولكن لن تحكم إلا بعد أن تجرب. عين الحكمة أن تجرب المتع كلها وبعدها ترجع بملء إرادتك لما ارتاحت له روحك، لا أن تحرم نفسك من كل الفتن زاهدًا رافضًا.

آصف: ألا تعلمين أني بترك ما أشتهي لما يشتهي حبيبي أجد في نفسي حلاوة تفوق متع الدنيا قاطبة؟

ساندرين: هلا خضت التجربة معي وبعدها تحكم؟

آصف: نعم، ولكن بعد أن تخوضي التجربة معي.

ساندرين: وكيف هذا؟!

آصف: لي يوم وليلة، فإن لم تملأ المتعة روحك وجسدك، نر ما ترين.

ساندرين: أوافقك، ولكن ماذا سنفعل؟

آصف: سأمر عليكِ فجر غد؛ فلتتجهزي.

ساندرين:بإغواء أمر سيدي ومولاي.

آصف: مبتسمًا ليفعل الله ما يريد.

آصف: السلام عليكم.

ساندرين: وعليكم السلام.

آصف: هل أنتِ جاهزة؟

ساندرين: نعم، ولكن لِمَ؟

: هيا بنا، لنتمشى في الخارج، ولنقضي يومنا وليلتنا معا.

ساندرين: بحماس هيا بنا.

آصف: سنبعد قليلًا عن أعين الناس حتى ننفرد بالسعادة.

ساندرين: حقًّا.

آصف: أتعبتِ؟ هل نرتاح قليلًا؟

ساندرين: يا حبذا، ولكن أين في هذه الصحراء؟

آصف: يجثو على ركبتيه اللّهُمَّ رب السموات وما أظلت ورب الأراضين وما أقلت، يا من بيده خزائن كل شيء، كن لنا مجيرًا من شمسك الحارقة ولا تجعل لها علينا سلطانًا.

ساندرين: يا عقلي! ما هذه الشجرة الوارفة التي نبتت جنبنا فجأة؟!

آصف: إنها فضل من الله على عباده. فلتجلسي ولتحمدي الله.

ساندرين: بتخوف الحمد لله.

آصف: انظري إلى بديع خلق الله في كونه، انظري إلى السماء المرفوعة دون عمد، تفكري في شمسها وقمرها ونجومها، انظري إلى سحابها وبرقها ورعدها وإلى الأرض المبسوطة، وتفكري في بحارها وأنهارها وعيونها، انظري إلى ما يخرج منها من نبات شتى يختلف أكله وطعمه، فهذا للطعام

وهذا للدواء، هذا حلو وهذا م، كل يُسقى بماء واحد، انظري إلى ما خلق الله من إنس وجان، وفضل بعضهم على بعض، وجعلهم قبائل وشعوبًا، ومكن بعضهم من نفع بعض وبعضهم من ضر بعض. انظري إلى الطير المحلق والأسماك السابحات والدواب السائرات والهوام الحائرات، كل قد علم صلاته وتسبيحه.

وظل يتحدث ويعدد نعم الله التي لا حصر لها وهي لا تنطق وتتنفس بالكاد وتحيا يومها هذا كأنها لم تحيا من قبل، وتنظر إلى كل ما يتحدث عنه وكأنها تراه للمرة الأولى، ونور الله يمتد إليها ويظهر على تقسيمات وجهها الفادح الجمال فتزداد جمالًا وسكونًا و حياة. أهذا هو اليوم الذي منَّت نفسها أن يكون بداية لنهاية مهمتها؟ أهذا هو الشخص الذي سلكت كل السبل لإغوائه؟

كيف لها أن تفعل هذا به وهو قد ملأ قلبه حبًّا لكل ذرات الكون؛ لكونها من مخلوقات الواحد الأحد.

ظلت على حالها من السكون والتفكر الذي يدعوها إليه حتى جنَّ عليهما الليل.

آصف: أتدرين يا ساندرين؟ لطالما تفكرت في جميل صنع الله، لكنه والله لأجمل، وأنا أدعوك لمشاركتي هذا الجمال.

ساندرين: لله الفضل والمنة يا سيدي.

آصف: ها قد أتى الليل، هيا لننهل منه ما يمدنا ليوم غد من طاقة وقدرة على المواصلة.

ساندرين: هل سننام هنا يا سيدي؟!

آصف: من قال أننا سننام؟

ساندرين: ماذا تقصد إذن؟

آصف: نقوم ندعو الله بصفاته الجلية وأسمائه العظيمة ندعوه بأنه القادر القاهر الرحيم، بأنه مدبر الملك، المعز المذل، ندعوه أن يكون لنا، وأن يعيننا على طاعته، وعلى القيام بحقوقه، وعلى أن يمدنا بمدد من السماء، نستطيع أن نحيا به في هذه الأرض دون أن نعصيه، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا و...

ساندرين: أجهشت في البكاء آمنت بالله وحده وكفرت بالجبت والطاغوت.

آصف: فلتهدأي، ولا تقنطي من رحمة الله، إنما أراد الله بكِ خيرًا.

ساندرين: وأنا أردت بكَ شرًّا، وجئتُ لأغويك وأضلك السبيل، وأنتَ تعلمني كيف أحيا محبةً لربي طائعةً له، فلتغفر لي يا سيدي.

آصف: سوف أستغفر لكِ ربي يا ساندرين.

ساندرين: لستُ ساندرين، إنما أنا نائلة، الجنية نائلة الموكلة بإغوائك.

آصف: ولِمَ يا نائلة؟ أنا لم آذِ أحدًا منكم بشيء.

ساندرين: لا أدري، ولكنها مهمتي التي أحمد الله أني فشلت فيها وأن هداني الله للإيمان على يديك. سأعيش ما بقيت طائعةً عابدةً وألحق بالجن المسلم.

آصف: لا تخشي من شيء طالما الله معك.

ساندرين: إن كل ما أخشى عليه الآن هو أنت.

آصف: ولِمَ؟

ساندرين: إنهم يمكرون بكَ، ولن يتركوك دون أن يحصلوا منك على ما يريدون.

آصف: من كان معه الله فمن عليه؟

ساندرين: نعم، أصبت ورب سليمان.

آصف: اذهبي، حصنك الله بالإيمان وزودكِ بالتقوى وحماك من كل سوءٍ.

ساندرين: بارك الله لي فيك وحماك من كل ذي شر.

(٢٠)

ذهب أحمد إلى عمله وقضى يومه كالمعتاد، وجاءه تليفون من الأستاذ شريف.

أستاذ شريف: ألو يا حبيبي، إزيك؟

أحمد: إزيك يا أستاذ شريف؟ فينك؟ ما شفتكش امبارح.

أستاذ شريف: معلش، جات لي قضية في دبي واضطريت أسافر امبارح وما لحقتش أقول لكم.

أحمد: ولا يهمك، تروح وتيجي بالسلامة.

أستاذ شريف: أنا لسه قافل مع لي لي وقالت لي إنك واخد بالك منها، هو دا العشم برضه، متشكر يا ابو حميد.

أحمد: ما تقولش كدا. إنت خلص شغلك وارجع لنا بالسلامة، وما تشيلش هم حاجة خالص.

أستاذ شريف: طيب، يلا سلام مؤقت.

أحمد: سلام.

أيمن: خير؟ ما له الأستاذ شريف؟

أحمد: مسافر دبي.

أيمن: والنبي الراجل دا سكر؛ جايب لك المزة لحد عندك ومسافر.

أحمد: بس، دي البنت دي دماغ عالية ومثقفة جدًّا، سيبك من جمالها وشكلها، دماغها حلوة فعلًا.

أيمن: يعني عجبتك؟

أحمد: بقول لك دماغها حلوة.

أيمن: وانت دماغك وحشة.

أحمد: ليه بقى إن شاء الله؟

أيمن: يعني عندك مريم بنت رقيقة وبنت ناس، ولي لي مزة وجامدة واستيل ومش عارف تخلص مع واحدة فيهم وتحط النقط على الحروف؟

أحمد: بص يا أيمن، الواحد مش هيعرف يلاقي شريكة غير لما يلاقي نفسه. في حاجة أنا حاسس بيها بس مش عارف أعبر عنها، كأني مستنيها، ما ينفعش آخد قرار أو خطوة قبلها، فاهم حاجة؟

أيمن: لأ.

أحمد: أحسن. يلا نشوف شغلنا علشان عايز أمشي بدري النهاردا.

أيمن: ساخرًا لا يا شيخ، طيب.

وبعد أن أنهت لي لي مهمتها طلبت أحمد.

لي لي: ألو، أحمد.

أحمد: لي لي، إزيك؟ عملتي إيه؟

لي لي: كله تمام. خلصت شغل؟

أحمد: قربت. خلي السواق يجيبك ويمشي واحنا نروح سوا.

لي لي: أوكيه، باي.

أحمد: أنا خلصت خلاص، اتأخرت عليكي؟

لي لي: نو بروبلم، يلا بينا.

أحمد: تحبي نتعشى فين؟

لي لي: فاجئني انت.

أحمد: طب يلا بينا.

أحمد: دا أكتر مكان بحبه وبرتاح فيه، آجي أصلي في الحسين وأتمشى في المعز ومصر القديمة وما احسش بنفسي خاالص.

لي لي: بس أنا أسمع إن الحسين ليه مقامات كتير في العراق والشام وحتت تانية كتير.

أحمد: بصي يا ستي، الموضوع دا فيه كلام كتير قوي: هو هنا ولا لأ؟ حلو نزورهم ولا لأ؟ ولو زرناهم نبقى شيعة ولا لأ؟ وكلام تاني كتير، الخلاصة إيه بقى؟

لي لي: إيه يا احمد؟

أحمد: إحنا بنحب ربنا، ولا نشرك به شيئًا ولا نتقرب بأحد ليه، ليه؟

لي لي: ليه؟

أحمد: لإنه أهل للحب بكل صفات جماله وجلاله، إنه الرحمن الرحيم الودود الملك القدوس السلام المؤمن،

وبإنه المتكبرالعزيز الجبار المهيمن، بكل صفاته العظيمة اللي عرفناها واللي حسيناها وما عرفنهاش، مش بس علشان جنته وناره، علشان أهليته للحب.

ستنا رابعة بتقول إيه؟ اللّٰهُمَّ إن كنت أحبك طمعًا في الجنة فأحرمني منها وإن كنت أحبك خوفًا من النار فأحرقني بها، وإنما أحبك لأنك أهل لذاك. دي أول نقطة.

لي لي: وقد ظهر عليها التأثر، كمل يا احمد، كلامك حلو قوي.

أحمد: تاني حاجة: حبنا لسيدنا النبي، لانه جامع لكل صفات الجمال والكمال و ما حدش تعب مع قومه قده، وما حدش خاف على أتباعه زيه، لما أهل الطائف عذبوه، وجاله سيدنا جبريل ومعاه ملك الجبال

علشان يطبق عليهم الجبلين ما رضيش ورد قائلًا: عسى أن يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا إله إلا الله. ولما قال لأصحابه: اشتقت لأحبابي، قالوا له: أو لسنا أحبابك؟ قال عليه الصلاة والسلام: أنتم أصحابي، أما أحبابي من آمنوا بي ولم يروني. يستاهل نحبه ولا لأ؟

لي لي: دامعة العينين أكيد، هو فيه حد بيحب حد كدا؟!

أحمد: هو بقى قال لنا نحب أهله ونودهم، اللي عايز يحبهم من بيته، واللي عايز يجي يزورهم للمودة والاتعاظ، مش للتبرك وتوسطهم بينا وبين ربنا.

ربنا أقرب من إن يكون بينا وبينه حد؛ فهو قريب مجيب، مش محتاج وساطة. الإيمان يا لي لي مش صوم وصلاة وبس، دا يقين جوه القلب بيعدي بيكي كل المحن، وتخرجي بعد كل اختبار أقرب وأقوى بالله.

ما لك؟ بتعيطي كدا ليه؟!

لي لي: ما فيش. ممكن أروح؟

أحمد: إيه اللي حصل بس؟! أنا ضايقتك في حاجة؟

لي لي: لا خالص، بس أنا تعبت وعايزة أرتاح شوية، ممكن؟

أحمد: آه طبعًا، يلا بينا.

وصمتا بقية الطريق، ولما وصلا صعدت مسرعة لغرفتها ولم يعرف أحمد ماذا ألمَ بها، وصعد لينال قسطًا من الراحة. رأى أحمد أثناء نومه الأشخاص الذين اعتاد أن يراهم من بعيد: رأى رجلًا فتيًّا مع فتاة فائقة الجمال، وحدثها حتى بكت ثم انصرفت، ولما تعجب من تكرار ما يرى حاول التركيز محاولًا تجميع ما يحدث؛ فقد كان مولعًا بالرؤى، ويرى فيها الإشارات والبشارات. فتح عينيه، فإذا بالوجه الذي ينتظره من مدة ينظر إليه باسمًا وملء عينيه حب وعرفان.

أحمد: عم حمزاوى، وحشتني يا راجل يا طيب.

عم حمزاوي: ما تشوفش الوحش أبدًا يا ابني.

أحمد: طمني عليك، ما جتش من مدة.

عم حمزاوي: مين قال؟ أنا على طول معاك، ومبسوط قوي من اللي بتعمله، إنت ماشي على العهد، زي ما بيقول الكتاب.

أحمد: عهد إيه؟!

عم حمزاوي: عهد الجدود يا ابني.

أحمد: مش فاهم، فهمني.

عم حمزاوي: خليك مع ربنا ومع قلبك؛ عمرك ما هتضل. أخبار شريف معاك إيه؟

أحمد: كويس الحمد لله، جاب بنت أخوه هنا.

عم حمزاوي: مشيت خلاص.

أحمد: مشيت!

عم حمزاوي: اللي يجي يجي، واللي يمشي يمشي، ما تشغلش بالك غير بطريقك.

أحمد: الطريق طويل، وخايف.

عم حمزاوي: هونه وهيهون. بص على آخر الطريق، ما تبصش تحت رجليك.

أحمد: حاضر، بس ادعي لي.

عم حمزاوي: كلنا داعين لك بالثبات والتوفيق، دا سلسال يا ابني.

أحمد: رايح فين يا عم حمزاوي؟ استنى.

عم حمزاوي: سلام الله على العالمين.

أحمد: عم حمزاوي، عم حمزاوي..

وهكذا هب أحمد من نومه،

احمد: ربنا يسامحك يا راجل يا طيب.

وقام وتجهز مستعدًا للخروج.

أحمد: صباح الخير يا مدام فاطمة.

مدام فاطمة: صباح الخير يا أستاذ أحمد. هتفطر ولا هتستنى الآنسة لي لي.

أحمد: هابدأ علشان مستعجل، وهي هتيجي أو ممكن حضرتك تندهي لها.

مدام فاطمة: حاضر، هاطلع لها حالًا.

مدام فاطمة: بفزع الحقني يا أستاذ أحمد، آنسة لي لي مش موجوة.

أحمد: بهدوء يمكن بتجري بره كالعادة.

مدام فاطمة: لا، ما لهاش أى أثر، ولا كأنها جت من أصله.

أحمد: إزاى كدا؟!

مدام فاطمة: الأوضة زي ما كنت مظبطاها قبل ما تيجي بالظبط، ما لهاش أي حاجة في الدولايب ولا شنطها، ولا كأنها نامت على السرير امبارح، بقول لك الأوضة بحطة إيدي.

أحمد: طب اهدي طيب، أنا هاطلبها.

«الهاتف المطلوب غير موجود بالخدمة، من فضلك تأكد من الرقم الصحيح»

أحمد: غريبة دي! دي مكلماني من عليه امبارح.

مدام فاطمة: هو فيه حاجة حصلت امبارح؟

أحمد: خالص، خرجنا واتعشينا واتكلمنا شوية وبعدين قالت لي عايزة أروح.

مدام فاطمة: طب هنعمل إيه؟

أحمد: ما تقلقيش، هبلغ الأستاذ شريف.

أستاذ شريف: ألو، إزيك يا احمد؟

أحمد: إزيك يا أستاذ شريف؟

أستاذ شريف: خير يا ابو حميد؟ فيه حاجة؟

أحمد: أصل.. أصل صحينا من النوم ما لقيناش لي لي.

أستاذ شريف: بتهزر! إزاي دا يحصل؟

أحمد: أنا مستغرب جدا، ما فيش حاجة حصلت لدا.

أستاذ شريف: أنا سايبهالك أمانة.

أحمد: طب فيه حد هنا ممكن نسأله عليها؟

أستاذ شريف: اقفل دلوقتي، أنا هاتصرف.

أحمد: طب ممكن تبقى تطمنا لو وصلت لحاجة؟

أستاذ شريف: طيب، طيب. سلام دلوقتي.

مدام فاطمة: خير؟

أحمد: هيشوف ويقول لنا.

مدام فاطمة: ممكن أسألك سؤال؟

أحمد: طبعًا، اتفضلي.

مدام فاطمة: حاسة أنك ما اتفاجئتش، إنت كنت متوقع إنها هتمشي.

أحمد: قال لي إن دا هيحصل.

مدام فاطمة: مين اللي قال لك؟

أحمد: قلبي، قلبي يا مدام فاطمة. أنا هروح الشركة.

مدام فاطمة: طب طمني لو عرفت حاجة.

أيمن: صباح الفل يا برنس، أخبارك إيه؟

أحمد: الحمد لله.

أيمن: ما لك؟ وفين لي لي؟

أحمد : مبتسمًا لا خلاص بخ.

أيمن: هو إيه اللي بخ؟ عملت إيه يا مفتري؟

أحمد: ولا أي حاجة، صحينا ما لقنهاش.

أيمن: طفشتها انت، يا أخي حرام عليك، دي كانت تحل من على حبل المشنقة.

أحمد: كان فيها حاجة غريبة، وكمان الطريقة اللي اختفت بيها.. استنى لما أكلم أستاذ شريف أشوفه وصلها ولا إيه.

أحمد: خير يا أستاذ شريف؟ إيه الأخبار؟

أستاذ شريف: خير يا احمد، خلاص أنا اتطمنت عليها.

أحمد: طب هي فين؟

أستاذ شريف: لا خلاص سافرت.

أحمد: إيه اللي حصل؟ فيه حاجة زعلتها؟

أستاذ شريف: هي مش زعلانة، أنا اللي زعلان؛ بقول لك فرفشوا وانبسطوا وعيشوا حياتكم، تقوم تزورها مقامات؟ أنا مش عارف أعمل معاك إيه يا احمد صراحة، دماغك غريبة!

أحمد: هي قالت لي خرجني على ذوقك، عمومًا الحمد لله إنك اتطمنت عليها. يلا مستنينك ترجع بالسلامة؛ علشان أنا هنشغل عشر أيام في الامتحانات؛ فيا ريت حضرتك تكون جيت.

(٢١)

أبانوخ: أمر مولاي.

أباديباج: تعلم أني اخترتك لمعاونتي لثقتي فيك، فلا تخذلني وإلا أحرقتك بناري، ولن ينجيك مني أحد.

أبانوخ: لا تقلق يا مولاي، فسأثبت لك أن اختيارك صائب.

أباديباج: كيف هذا وقد فشلت فتاتك المدللة، بل وأسلمت ونجت من تحت أيدينا.

أبانوخ: لا تقلق يا مولاي، إني سأجد طريقة للانتقام منها.

أباديباج: لن يجدي انتقامك إلا أنها ستثير علينا بقية الجن المسلم ونحن في عهد معهم.

أبانوخ: إذن أرسل له أخرى ممن تفوقها دلالًا وجمالًا.

أباديباج: كلا، لن يفتن بالنساء، لن يجدوا إليه سبيلًا.

أبانوخ: إذن ماذا ترى يا مولاي؟

أباديباج: أريده أن يفتقر، أريد أن يفقد كل ما لديه، حتى أضطره إلى طاعتي.

أبانوخ: سأسلط عليه أهل البلاء من الجن، حتى لا يدعوا له درهمًا و لا فلسًا.

أباديباج: بوركت، فلتأتني بخبره عما قريب.

أبانوخ: لا تقلق يا مولاي، فسيأتيكَ خبر يسعدك عما قريب.

أباديباج: أرجو أن لا تفشل هذه المرة أيضًا، وإلا فلتخش على نفسك مني.

أبانوخ: هذه المرة سأنجح بإذن الله، لا تخش شيئًا سيدي.

أباديباج: هيا لتريني همتك.

أبانوخ: أمر مولاي.

شامخ: هل أرسل سيدي في طلبي؟

أبانوخ: أجل يا شامخ، أريدك في أمر عظيم.

شامخ: وما هو؟

أبانوخ: أريد أمهر رجالك في الخراب والدمار.

شامخ: أهذا هو الأمر الجلل؟! إنه لهين يا مولاي.

أبانوخ: لا تتعجل الرد.

شامخ: هب أنهم حضروا، ما مهمتهم؟

أبانوخ: تعرف بالتأكيد آصف بن برخيا.

شامخ: ومن منا لا يعرفه؟ لطالما سلَّطه علينا سليمان نبي الله لبناء وصنع المحاريب.

أبانوخ: وها قد واتتك الفرصة لتتسلط عليه.

شامخ: وماذا تريد أن أفعل به؟

أبانوخ: لا أريد أن يبقى له مكان يأوي إليه، ولا قرش يستند عليه، أريده أن يتكلف سؤال الناس.

شامخ: في يوم يكون كل شيء انتهى.

أبانوخ: كلا، بل تريث؛ لا أريد أن يظهر أن لنا دخلًا بهذا.

شامخ: تريد أن يبدو وكأن الأمر طبيعي، يا له من ذكاء سيدي! ولكن لِمَ؟ لم يعد له علينا سلطان بعد موت نبي الله سليمان.

أبانوخ: لا تنس ما يملكه من أسماء يتذلل بها إلى الله.

شامخ: صدقت، لعله يحرقنا بها.

أبانوخ: اذهب الآن وجهز رجالك، وأعد خطتك، وأعرض عليَّ الأمر أولًا بأول، ولا يثنك شيء عن أن تستشيرني.

شامخ: تمام يا سيدي.

أبانوخ: ليس هناك أخطاء أو أعذار، أتعي ما أقول؟

شامخ: لا تقلق، هذه ليست الأولى بيننا.

أبانوخ: فلتذهب إذن.

شامخ: متعت بالعيش قرونًا طويلة في عزة وثراء.

....: سيدي آصف..

آصف: ما بالك يا فتى؟ ما يفزعك هكذا؟

....: إنها قافلة بني إسرائيل التي تحمل تجارتهم وبها أموالنا وبضاعتنا.

آصف: وما حل بها يا ولدي؟

....: اللصوص أغاروا عليها ونهبوها.

آصف: وأين كان الحرس؟

....: لم يجدوا إليهم سبيلًا، سرقوا كل الدواب المحملة وفروا هاربين.

آصف: هل تأذَّى أحد من بني إسرائيل أو أصيب بسوء؟

...: كلا يا سيدي، لكن بني إسرائيل في حالة بائسة.

آصف: فلتجمعهم لي.

...: أمر مولاي.

آصف:خاطبًا في القوم يا بني إسرائيل، أيها الأهل والأحباب، يا من اختاركم الله لعبادته، يا نسل رسله، لا تبكوا على درهم ولا دينار ولكن ابكوا على ذنوبكم؛ فالمال مال الله، يهبه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء. لعل الدنيا شغلتكم، فاستوحشكم الكريم وأراد أن ترتفع إليه الأيادي بالدعاء، والقلوب بالرجاء، هبوا إليه داعين حامدين شاكرين راجين؛ فإن الله الذي أواكم وحباكم برسله ورزقكم من واسع فضله قادر على أن يؤتيكم ما ضاع منكم وزيادة، وسأحمل عنكم ما فقد منكم وأعوضكم عنه حتى لا يشغلكم البحث عن قوتكم عن مناجاة ربكم. هيا اذهبوا إلى الله بقلوبكم لعلكم ترشدون.

برقان الرؤيا: بارك الله فيك يا أبي.

آصف: بوركت يا ولدي.

برقان الرؤيا: ولكن أليس هذا بالكثير؟

آصف: يا فلذة كبدي المال مال الله، إنما نحن فيه خلفاء.

برقان الرؤيا: لكننا فقدنا أموالًا طائلة أيضًا إلى جانب ما عوضتهم به.

آصف: لتعلم يا ولدي أن أمر الملكوت بين يدي الله، وحين تقف بين يديه – اللّٰهُمَّ قرب

اللقاء وهون الفراق فقد اشتقت إلى القاء – ستُسأل عن حبة التراب بين يديك؛ فحاول أن تتخفف من أوزارك عند لقاء الجبار ولا تحمل ما لا تطيق حمله.

برقان الرؤيا: لنعمة كونك والدي، وهي أعظم النعم بعد الإيمان.

آصف: بارك الله فيك وفي ذريتك. اللّٰهُمَّ اجعله من المقربين وذريته حتى يوم الدين.

وبعد بضعة أيام أتى برقان الرؤيا لوالده متغير الوجه.

آصف: ماذا بولدي الحبيب؟

برقان الرؤيا: أخشى أن أخبرك فتسعد فأحتار.

آصف: اللّٰهُمَّ أبعد الحيرة عن ولدي وقلبه وعقله، وثبته على ما تحب وترضى.

برقان الرؤيا: اللّٰهُمَّ تقبل.

آصف: ماذا دهاك يا ولدي؟

برقان الرؤيا: إنها البساتين التي نملكها يا والدي، التي قاربت على جمع محصولها.

آصف: ما بها؟ لقد كانت على خير حال عند مروري الأخير بها.

برقان الرؤيا: نعم يا والدي، ولكنها أصبحت على حال آخر.

آصف: وكيف هذا؟

برقان الرؤيا: ذهبت اليوم لتفقدها، وجدتها وكأنما بدلت، وكأن السماء أمطرت حامضًا أتلف المحصول وشقق الأرض.

آصف: أو حدث ما تقول؟!

برقان الرؤيا: نعم يا والدي.

آصف: في كل البساتين؟!

برقان الرؤيا: لم تبق لنا شجرة مثمرة، وبعد ما حدث في القافلة، أخشى أننا لا نملك سوى القصر الذي نحيا فيه.

آصف: الله يا الله، يا خالق السموات والأراضين، يا من يرزق النملة في الجحر، والسمك في الماء، والطيور في أعشاشها، أعلم أن رزقي بين يديك، ولن أحتاج إلى الحيلة في تحصيله ولا المشقة في جمعه. اللّٰهُمَّ إن كان هذا بلاءً فأهلًا به، لا نبالي مع رضاك بشيء، وإن كان غضبًا، فاعلم أن عبدك لا طاقة له بغضبك ولا يتحمل سخطك، فإن رضيت فالكل هين،

يا رزاق، يا وهاب، يا واصل المنقطعين، لا تؤاخذني بسوء عملي وتقصيري في حقك، ولا تتوفني إلا وأنت راضٍ عني، واجعل الدنيا وما عليها ليس لها إلى قلوبنا سبيلًا، يا الله، يا الله، يا الله...

وبعد عدة أيام أخر.

آصف: يا ولدي.

برقان الرؤيا: نعم يا أبي الحبيب.

آصف: اجمع أهلك وولدك ولنتجهز للخروج.

برقان الرؤيا: إلى أين يا والدي؟

آصف: رأيت أن نذهب إلى أحد الجبال ونبتهل أن يمنَّ علينا من واسع فضله ويزيل عنا الغمة ويكشف عنا البلاء.

برقان الرؤيا: الآن يا والدي؟!

آصف: الآن، الآن يا ولدي، ولتسرع.

برقان الرؤيا: لك الأمر يا أبي.

آصف: يا بني، يا قرة عيني، يا فلذة كبدي التي تمشي على الأرض، فلتعلموا أن هذه الدنيا متاع زائل؛ فلا تتعلقوا بها مقدار ما انتفعتم به منها، فإن طعمتم منها ما يكفيكم فله الفضل، وما زاد عن ذلك فليس لكم إلا أن يشاء ربي شيئًا، وتأهبوا للقاء الملمات في كل حين، ولير منكم ما يحب ويرضى، ولنرضى بقضائه ونحمده على بلائه ولا نخشى أحدًا سواه، فلتحفظوا هذا عني جيدًا لعله يكون آخر عهدي بكم. اللّٰهُمَّ احفظهم وبارك لهم وفيهم واجعلهم ورثة عهدك وكتابك القادرين على حفظه إلى يوم الدين.

...: سيدي آصف، حمدًا لله أن جميعكم هنا.

آصف: ما خطبك؟

...: شبت النار في قصرك حتى أفنته، وخشينا أن يكون أحد منكم بالداخل، لكن أحدهم رآكم تسيرون في هذا الاتجاه؛ فجئت لأتأكد من الخبر.

آصف: لله ما أعطى، ولله ما أخذ، وكل شيء عنده بمقدار. ولدي برقان الرؤيا..

برقان الرؤيا: نعم يا والدي.

آصف: فلتذهب ببنيك من هنا.

برقان الرؤيا: ولِمَ يا والدي؟

آصف: أخشى الخطر عليكم.

برقان الرؤيا: فلتأتِ معنا إذن.

آصف: لا أستطيع، وأريد أن أواجه هذا العدو بمفردي.

برقان الرؤيا: لكني لا أستطيع تركك يا أبي.

آصف: لن يمسني الله بسوء، وإذا جاء أجل الله فلا راد لمراده.

برقان الرؤيا: لكن...

آصف: اذهب وأمِّنهم ولا تخش شيئًا عليهم ولا على أبيك، إنما هي جميعًا مقدرات الله التي تأتي في حينها، هيا انطلق، فلتذهب إلى مصر؛ إنهم أرق أفئدة وألين في المعشر وأقرب في الممشى، تبوَّأ لأهلك بها بيتًا، وعندما يستقيم لكم الأمر عد لوالدك، وخذ هذه معك، هذا ما تبقى من أموال معنا، ألهمني الله أن أجمعه، ربما أعانك على شيء، وإن كنت أعلم أن المعين الميسر هو الله.

برقان الرؤيا: باكيًا أبتِ، سفتقدك.

آصف: إن لنا موعدًا عند الله، فلتبق على العهد حتى تلقاني به، فلسنا أهلًا للدنيا وليست

دار مقامنا. سيروا يا ولدي على بركة الله وفي حفظه وعنايته.

برقان الرؤيا: إلى اللقاء يا أبي.

آصف: إلى اللقاء يا أحبتي.

(٢٢)

أتم أحمد امتحاناته، وكان الله رفيقًا به؛ فاجتازها بنجاح وتفوق هو ومريم، وبالنسبة لأيمن فقد نجح بصعوبة بالغة وبقيت لديه مادة يمتحنها الدور القادم.

وجلس أحمد مع مريم يتحدثان بعد النتيجة.

أحمد: مبروك يا مريم.

مريم: مبروك ليك انت كمان، نويت على إيه؟

أحمد: عايز أروق كدا واخلص الرسالة، وعايزك تفضي لي نفسك علشان موضوع دار النشر والمجلة اللي اتكلمنا فيه، عايزين محامي كويس يساعدك في الإجراءات، مش عايز نتعطل أكتر من كدا.

مريم: ما تشوف محامي من اللي عندك.

أحمد: لا؛ أنا حابب الموضوع دا يبقى بيني وبينك، ما حدش يعرف عنه حاجة. تعرفي يا بت يا دكتورة انتي، إن في هذا الكوكب العظيم ما فيش حد غيرك باثق فيه.

مريم: بغض النظر عن إن بت ودكتورة مش لايقين على بعض، إلا إن دي شهادة أعتز بيها والله يا فندم، ثم إن تعالى هنا، إنت هتضحك عليَّ ونقعد نتكلم، ما فيش غدا ولا إيه؟

أحمد: لا فيه طبعا، يلا شوفي تحبي نروح فين وانا تحت أمرك.

مريم: براحتي يعني؟

أحمد: طبعًا.

مريم: نروح سيدنا الحسين نصلي ركعتين ونقرا الفاتحة ونتغدى هناك.

أحمد: مبتسمًا بامتنان أحسنتِ الاختيار، يلا بينا.

وبعد أن أنهيا الغداء وجولتهما في شوارع مصر القديمة واصلا المشي إلى كورنيش النيل، حتى شعرت مريم بالتعب فأوصلها إلى بيتها، ثم عاد لبيته ليجد الأستاذ شريف ومدام فاطمة في انتظاره.

أحمد: السلام عليكم.

مدام فاطمة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ألف مبروك يا ابني، ربنا يوفقك ودايمًا من نجاح لنجاح ويهديك ويبارك فيك ويصلح حالك.

أحمد: اللّٰهُمَّ آمين. ربنا يبارك فيكي.

أستاذ شريف: مبروك يا دكتور. رافع راسنا دايمًا.

أحمد: الله يبارك فيك يا أستاذ شريف.

أستاذ شريف: كنت بتكلم أنا ومدام فاطمة عن الحفلة اللي عايزين نعملها بمناسة نجاحك، أنا كنت عايز أعملها في قاعة أو فندق وهي مصممة إنها تكون هنا، إنت اللي هتفصل في الموضوع دا، إيه رأيك؟

أحمد: لا، حفلة إيه؟! أنا ما ليش في الحاجات دي.

أستاذ شريف: أمال ليك في إيه بس؟ نفسي أعرف. بص يا سيدي الحفلة دي مش بس علشان نجاحك اللي هو السبب الأساسي، لا دي كمان علشان

تتعرف على المجتمع والناس تعرفك، السوق مش فلوس بس، العلاقات أهم حاجة، والموضوع دا كان المفروض يحصل من بدري بس انشغالك بمعرفة أمور الشغل والمذاكرة هو اللي عطلنا.

أحمد: على فكرة أنا مش بحب جو الحفلات والحاجات دي خالص، بس أشهد لك إنك مقنع بزيادة، فاعمل اللي انت شايفه صح بس بدون مبالغة.

وبالفعل قامت حفلة على أعلى مستوى ودعي إليها نجوم المجتمع من ساسة وفنانين ورياضين وقامت عدة مجلات بإجراء أحاديث مع أحمد، وطلبت العديد من القنوات الفضائية إجراء حوارات معه، أجرى بعضًا منها، وأرجأ بعضًا منها لوقت آخر بعد الحفلة.

وبعد الحفل بأيام جاءه اتصال من الأستاذ عبد الرحمن البدوي أحد الإعلاميين المشاهير الذي يعمل كمذيع ومعد للعديد من البرامج في قناة الشمس التي تعد من أشهر وأقوى القنوات على الساحة الإعلامية، راغبًا في إجراء حوار معه سيذاع في القناة التابع لها ووافق أحمد على إجراء الحوار تحت مباركات وتشجيع من الأستاذ شريف، وبعد تسجيل الحلقة دار بينهما هذا الحوار:

عبد الرحمن: متشكر جدًّا يا أستاذ أحمد، حقيقي حلقة ثرية وممتعة.

أحمد: الشكر لحضرتك، حضرتك متميز في لقاءاتك وانا بتابعك من زمان.

عبد الرحمن: بس المرة دي مختلفة، ثقافة حضرتك واللغة كمان فارقة جدًّا.

أحمد: دا من ذوقك بس.

عبد الرحمن: لا حقيقي، الموضوع ما فيهوش مجاملة خالص، وأكبر دليل على كدا العرض اللي هعرضه عليك دلوقتي.

أحمد: خير؟ عرض إيه ؟

عبد الرحمن: صاحب القناة طلب مني أجهز له برنامج جديد، وانا بفكر جديًّا إنك تكون مذيع البرنامج دا.

أحمد: ضاحكًا لا لا، ما ينفعش خالص.

عبد الرحمن: ليه مينفعش؟! حضرتك كاتب صحفي ولغتك حلوة وعندك قبول على الكاميرا وليك كاريزما، والمفروض يكون دا مجالك الرئيسي، ولا البيزنس هو اللي شاغل تفكيرك؟

أحمد: هو العرض دا ممتاز جدًّا، بس والله ما عنديش وقت، عايز أخلص موضوع البحث بتاعي، وبحاول أسيطر على الشغل، أقوم أفتح على نفسي باب جديد محتاج وقت ومجهود وأعصاب؟! الدنيا مش سهلة زي ما انت متصور.

عبد الرحمن: طيب، عندي فكري ممكن تريحك وتدي لك ثقة في الموضوع.

أحمد: اتفضل.

عبد الرحمن: نعمل حلقة على سبيل التجربة، القناة تشوفك وانت تشوف نفسك، وهيبان بعد كدا الدنيا فيها إيه؟

أحمد: فكرة معقولة جدًّا.

عبد الرحمن: خلاص جهز نفسك وجمع أفكارك وشوف تحب نتكلم في إيه ونبدأ.

أحمد: على بركة الله.

عبد الرحمن: هاكلمك آخر الأسبوع دا علشان نتفق.

أحمد: خلاص هاستناك، وربنا يعمل اللي فيه الخير.

عبد الرحمن: ألو، د. أحمد، إزيك؟

أحمد: أستاذ عبد الرحمن، أخبارك إيه؟

عبد الرحمن: الأخبار عندك انت.

أحمد: أنا فكرت، الموضوع مستهويني ما اكدبش عليك، وجات لي فكرة كمان. بس مش عارف هتكون مناسبة ولا إيه؟

عبد الرحمن: قول ونشوف.

أحمد: الطريق.

عبد الرحمن: الطريق لإيه؟

أحمد: لربنا سبحانه وتعالى.

عبد الرحمن: اخترت يكون برنامج ذو طابع ديني؟

أحمد: لا، اجتماعي، سياسي، ثقافي.

عبد الرحمن: إزاي دا؟ فهمني.

أحمد: الدين لو فصلناه عن التطبيق في حياتنا بنتغرب عنه ونستغربه، لكن لما بيكون هو حياتنا وهو تفكيرنا مش بنحس بتشتت بين رأيي في موضوع ورأي الدين، بيكون الطريق واحد وأي سكة هامشي فيها هتوصلني.

عبد الرحمن: حلو دا، وهتنفذوا ازاي؟

أحمد: هنمشي الطريق مع الناس، ونشوف لو كان طريق هواه موافق لربه، أو كان مخالف، بس مش هنتناولها بطريقة مباشرة.

عبد الرحمن: إنت عظيم، أنا موافق ولازم نتقابل علشان نشوف ازاي هنخرج الطريق للنور. حاسس إنه هيكسر الدنيا.

أحمد: ربنا ييسر الحال ويعينا، شوف الدنيا ماشية إزاي ونحدد معاد ونتقابل.

عبد الرحمن: اتفقنا، سلام مؤقت يا سيادة الإعلامي المنتظر.

أحمد: سلام يا أستاذ عبد الرحمن.

عبد الرحمن: أستاذ شريف..

أستاذ شريف: أهلًا بالعبقري.

عبد الرحمن: الصيد كل الطعم.

استاذ شريف: حبيبي، يعجبني الناس اللي بتنجز.

عبد الرحمن: إنت تؤمر بس.

أستاذ شريف: عايزك تلمعه وتأيفه، عايزه يحب الشهرة والنفوذ.

عبد الرحمن: اعتبره حصل خلاص.

أستاذ شريف: لو اتعلق بدا هبقى لقيت اللي ضايع مني.

عبد الرحمن: وإيه اللي ضايع منك.

أستاذ شريف: كنز السنين، اللي طول عمري بدور عليه.

عبد الرحمن: هو أنا مش فاهم قوي، بس اللي هتطلبه مني هاعمله.

أستاذ شريف: مش لازم تفهم، المهم عايزه يبقى خاتم في صباعي، عايزه يتكلم بلساني ويفكر بدماغي، عايزه يخاف على صوته ما يوصلش ويحب الأضواء ويحب الأبواب اللي هتتفتح نتيجة لدا.

عبد الرحمن: خلاص يا باشا، أحلامك أوامر.

أستاذ شريف: سلام يا عبد الرحمن.

وبعد عدة شهور استهلكت أحمد في العمل داخل الشركة والبرنامج الأسبوعي الذي جعله من أشهر مقدمي البرامج، وينتظره جمهوره أسبوعيًّا، وفي الخط الموزاي أسست مريم المجلة ودار النشر وقامت بإدارتها وبدأت تخطو أولى خطواتها في طريق النجاح وإثبات كيانها.

أستاذ شريف: ألو، عبد الرحمن بيه، إزيك؟

عبد الرحمن: أهلًا وسهلًا شريف باشا.

أستاذ شريف: إيه الأخبار؟ طمني؟

عبد الرحمن: زي ما معاليك أمرت، بقى نجم شاشة ولا حسين فهمى في زمانه.

أستاذ شريف: كفاية عليه كدا.

عبد الرحمن: أؤمر يا باشا.

أستاذ شريف: وقعه في شر أعماله، خلي حد يسأله في السياسة وهو يرد، وانا هاخلي حبايبي يشدوه، أنا عايز في لحظة كل اللي وصله يضيع منه، عايزه يترعب فيسلم.

عبد الرحمن: أنا اللي عليَّ هاعمله، بس النتائج مش مضمونة قوي.

أستاذ شريف: ليه؟

عبد الرحمن: هو لسانه حلو ورزين ومش منحرف في ردوده، النوع دا صعب تمسك عليه غلطة، أنا بتكلم بعين الواقع.

أستاذ شريف: أمال انت بتعمل إيه؟ والشيكات اللي عمالة تتحول لك كل شوية دي ما لهاش لزمة؟ خلاص نشوف حد تاني يعرف يوقعه في الغلط.

عبد الرحمن: ليه بس كدا يا شريف باشا، دا انا الراجل بتاعك، أنا هاعمل لك اللي انت عايزه، ما تقلقش.

أستاذ شريف: أنا مش قلقان، وما بضيعش كل الوقت دا في الهوا. الحلقة الجاية أو اللي بعدها بالكتير يكون الكلام اتنفذ، سامعني ولا لأ؟

عبد الرحمن: تمام يا فندم، اعتبره حصل.

(٢٣)

عاد آصف وبنى بيتًا بسيطًا. يخرج صباحًا للعمل ليتقوت، ثم يجلس ظهرًا على باب بيته ليقضي بين بني إسرائيل في حاجاتهم، ويدخل ليلًا إلى بيته ليتعبد إلى الله ويشكره على واسع فضله ويرجوه أن يتقبل أعماله، وبينما هو على هذه الحال التي يعتبرها الجميع مذرية طرق عليه الباب.

أباديباج: السلام عليكم.

آصف: وعليك السلام.

أباديباج: لم أصدق ما سمعته فجئت لأتأكد بنفسي.

آصف: وأنا أنتظرك كي أؤكد لك؟

أباديباج: أخي آصف، ماذا فعل الله بك؟

آصف: مبتسمًا لم يفعل الله إلا كل خير.

أباديباج: أترى ما أنت فيه الخير؟!

آصف: كل الخير.

أباديباج: هل هذا السيد هو آصف وزير نبي الله؟!

آصف: نعم أنا سيدك آصف.

أباديباج: ببعض الضيق أنظر إلى كلينا لتعلم من السيد.

آصف: وما السيادة في نظرك؟

أباديباج: العز والثراء، السلطة والحكم.

آصف: أهذا هو العز؟!

أباديباج: نعم، بالتأكيد.

آصف: فلأدعه لك إذن، وليكفني ذلي إلى الله عزًّا وشرفًا.

أباديباج: ألا تريد أن تستعيد ما فقد منك؟

آصف: إنما أراد الله أن أذهب إليه غير مثقل بأمور الدنيا.

أباديباج: لو كان حقا يحبك ما ترك العابثين يفعلون بك هذا.

آصف: هؤلاء العابثون لم يفعلوا شيئًا غير تنفيذ ما قدره الله لي.

أباديباج: جئتك بعرض جيد.

آصف: وما هو عرضك؟

أباديباج: أعيد لك كل ما فقد منك، وأنت تعلم قدراتي.

آصف: نعم أعلمها.

أباديباج: وما رأيك؟

آصف: في ماذا؟ لم تكمل العرض.

أباديباج: أن تخبرني أين تقع كنوز سليمان.

آصف: مبتسمًا ولما أعلم بها؟ فلتذهب ولتسأله.

أباديباج: لا تسخر مني، أنت الوحيد الذي يعلم مكان هذه الكنوز والمخطوطات التي تركها سليمان قبل وفاته.

آصف: كل ما أعلمه أنك كنت من رجال سيدي سليمان، كيف لك أن ترتد عن ما عهد إليك به؟! وكيف تشتري الدنيا بالآخرة؟!

أباديباج: لطالما فضلك عليَّ، رغم قدراتي التي تفوق قدراتك، إلا أنه اختارك أنت لتكون وزيره، وسخرني أنا فقط لأقوم الجن والمردة طاعةً لأوامره وأمَّرك عليَّ.

آصف: أنت تعلم أن الأمر بيد الله، لا خيرة لأحد فيه. عد إلى صوابك ولا تشرك بالله ما ليس لك به علم، ولا تغرك الدنيا وزينتها؛ إنها عرض زائل، وإنَّ مردنا جميعًا إلى الله.

أباديباج: حينما أحكم الأرض كما حكمها سليمان ويدين لي الإنس كما دنَّا لهم، لعلي أعود وقتها، فلتساعدني كي أتصالح مع ربي، ولأزيل من داخلي النقص الذي طالما لزمني.

آصف: لا أستطيع؛ لأني لا أملك ما تريد، ولكن ما أعدك به أني سأدعو الله أن يتوب عليك وتعود لسابق إيمانك وقربك من الله، إن كان حقًّا إيمانًا.

أباديباج: كان إيمانًا مشوبًا بالخوف والقهر، لا إيمان إلا مع القوة، حين أشعر بقدرتي المطلقة ستكون لي حرية الاختيار.

آصف: تسليمك بقدرته وقوته يمنحك قوة من قوته ويجلي فيك صفاته لأنك صنيع يديه. لن تكون شاذًّا عن الكون، بل ستسير مع كونه في تناغم وتناسق وسيسخر لك الكون ليعاونك لتحقيق مقدراته وإلا أنهكت نفسك لتحقيق أهدافك التي لا تتجاوز أن تكون أمره في الأرض، فإما أن تتحقق لأنه قد كتبها - فليس لك في الأمر شيء - أو لا تتحقق لكونها مخالفة

لإرادته، فستكون قد أجهدت نفسك ولن تنال إلا ما كتب عليك من معصية الله ونبذ من الكون ومآل إلى النار.

أباديباج: فلتدعك من هذا الاسترسال، ولتعلم أني لن أتركك تنعم بحياة هنيئة إلا إذا عاونتني، غير ذلك سأحول حياتك لجحيم على الأرض، حتى تتمنى الموت.

آصف: مرحى بالجحيم لئن كان فيه نعيم ربي، وإن كان على الموت فوالذي نفسي بيده إني لأتمنى الموت في اليوم مئة مرة ليس قنوطًا من الحياة ولكن شوقًا للقاء ربي.

أباديباج: سأرحل الآن، ولكن لتعلم أن هذا لن يكون آخر عهدي بك.

آصف: اذهب وليرحمك الله وليهدك إلى سواء السبيل.

أبانوخ: ما لمولاي حزين مقضب الجبين؟

أباديباج: لقد أعيتني الحيل مع هذا الآصف، لا أدري ماذا أفعل معه لأرغمه على تنفيذ إرادتي.

أبانوخ: حقًّا يا مولاي، لا حيلة لنا معه، فزهده في كل شيئ يصعِّب مهمتنا.

أباديباج: لم يعد يعمل شيئًا غير العمل والعبادة والفصل بين بني إسرائيل، فرغم كل ما حدث ما زالوا يعتبرونه سيدهم.

أبانوخ: وجدتها يا مولاي، عرفت كيف نقضي عليه.

أباديباج: وكيف نقضي عليه؟

أبانوخ: لا نجعل له قيمة عند بني إسرائيل، وننزع منه حكمه بينهم.

أباديباج: آه يا أبانوخ، نعمَ الرأي، لكن أنت تعلم مكانته بينهم التي لم يقللها فقره بينهم، فما زالوا يحبونه يوقرونه، وحكمه سارٍ بينهم.

أبانوخ: دع هذا عليَّ، سأسلط السحرة على الناس حتى يتركوه كمجذوب أجرب.

أباديباج: آه لو فعلتها، لك مني ما تريد لو خضع لي.

أبانوخ: سيصلك مني الخبر في أسرع وقت، لتذهب إليه وتأخذ بغيتك منه. لم تخبرني يا سيدي، ما هي حاجتك عنده؟

أباديباج: لا شأن لك، لا تسأل عما لا يفيدك.

أبانوخ: أردت فقط أن أعاونك يا سيدي، ولكن لا بأس، كما يحلو لك.

أباديباج: اذهب الآن، ولا تتأخر في الرد عليَّ.

أبانوخ: أمر مولاي.

(٢٤)

أحمد: وبكدا نكون خلصنا الجزء الأول من الطريق، ونرجع بعد الفاصل لأسئلتكم واستفساراتكم.

أحمد: ألو، مين معانا؟

....: محمود من القاهرة.

أحمد: أهلًا وسهلًا يا أستاذ محمود، اتفضل.

محمود: حضرتك بتقول إن تطبيق الدين السمح بيحل أي مشكلي بنعدي بيها.

أحمد: تمام.

محمود: طب الحال اللي البلد وصل ليه دا، معناه إن ما بقاش عندنا دين؟

أحمد: لا طبعًا، الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين.

محمود: أمال إيه؟ كدا الدين ما لوش علاقة باللي بيحصل لنا.

أحمد: لا طبعًا ليه كل العلاقة، بس انت ممكن تكون ملتزم بكل الفروض والعبادات وتعيا أو يحصل لك حادث، مش علشان ما عندكش دين، علشان ربنا يختبرك أو يزود درجاتك.

محمود: طب وانت رأيك إيه في قيادة البلد، حكيمة ولا محتاجة تقرب من ربنا علشان تتوفق أكتر من كدا؟

أحمد: أكيد كلنا محتاجين نقرب من ربنا في كل وقت، ولو كل واحد في بيته وفي شغله وفي الشارع بتاعه راعى ربنا، الوضع هيتحسن كتير.

محمود: يبقى زي ما قلت لك في الأول، كلنا بعاد عن الدين من أكبرنا لأصغرنا؛ علشان كدا الحال واصل بينا لكدا.

أحمد: أستاذ محمود واخد موقف ومصمم يوصلنا ليه، طيب يا سيدي، سيدنا النبي لما بدأ في تأسيس دولة الإسلام في المدينة المنورة بنى المسجد، ما كنش للعبادة فقط، كان لمناقشة أمور البلد، وللتجهيز للغزوات، وحل المشاكل الاجتماعية بين الصحابة أو بين الرجال وزوجاتهم، ما فصلش الدين عن الدنيا، هو دا هدفنا، إن يكون هوانا وميل قلوبنا لي يرضي الله ورسوله، ويكون منهجه بالنسبة لينا أسلوب حياة، مش بس فروض بنقضيها. أتمنى أكون قدرت أجاوبك على سؤالك يا أستاذ محمود.

محمود: طبعًا جاوبتني، ويا ريت الدولة وقياداتها يتقوا ربنا فينا ويرجعوا لصحيح الدين زي ما أستاذ أحمد بيتكلم؛ علشان نرجع زي أيام الرسول وأصحابه وبلاش العلمانية اللي ملت البلد دي، ويرجعوا لكلام الأستاذ احمد؛ علشان يتأكدوا من الحقيقة دي. شكرًا ليك.

أحمد: يا ريت يا جماعة نفهم المعنى الصحيح للكلام، وما ندخلش في مجادلات ما فيش فايدة منها غير الكلام وبس، ناخد الاتصال اللي بعده.

وما أن أنهى أحمد البرنامج حتى فوجئ بمجموعة من رجال الأمن القومي تنتظره.

أحد رجال الأمن القومي: أستاذ أحمد؟

أحمد: أؤمرني.

أحد رجال الأمن القومي: معلش، ممكن تشرفنا شوية؟

أحمد: أشرفكم فين؟

أحد رجال الأمن القومي: ما تقلقش، الموضوع بسيط.

أحمد: أنا مش قلقان، أنا عايز أفهم بس.

أحد رجال الأمن القومي: اتفضل معانا وهتفهم اللي انت عايزه.

أحمد: طيب اتفضلوا.

أحد رجال الأمن القومي: اتفضل يا فندم.

وبعد أيام من الانتظار التقى أحمد بأحد وكلاء النيابة وعامله معاملة مهذبة، ودار بينهما الحوار التالي:

وكيل النيابة: أستاذ أحمد، إزيك؟

أحمد: اللّٰهُمَّ لك الحمد، كويس جدًّا.

وكيل النيابة: طب دا شيء جميل.

أحمد: خير؟ ممكن أعرف أنا هنا ليه؟

وكيل النيابة: إنت راجل محترم، حاصل على ماجيستير، مقدم برنامج ناجح، ورجل أعمال، أينعم فيه كلام حوالين ثروتك الطائلة دي وجت لك منين، بس مش موضوعنا.

أحمد: أيوه، أنا عايز أعرف إيه موضوعنا.

وكيل النيابة: واحد زيك يتكلم في السياسة ليه؟

أحمد: سياسة إيه؟!

وكيل النيابة: في البرنامج بتاعك وعلى الهوا.

أحمد: إنت سمعت البرنامج؟

وكيل النيابة: قريت الكلام اللي قلته.

أحمد: بس الكلام بيتسمع مش بيتقري.

وكيل النيابة: مش هتفرق، هو اللي انت قلته اتكتب.

أحمد: لا تفرق، روح الكلام تفرق.

وكيل النيابة: اتفضل اقرا، فيه حاجة في الكلام دا ما قلتهاش؟

أحمد: لا قلته كله، فين المشكلة؟

وكيل النيابة: المشكلة إنك بتحرض على الدولة، وبتشكك في إيمان القائمين عليها.

أحمد:ساخرًا لا والله!!

وكيل النيابة: بقالك معانا قد إيه؟

أحمد: ست أيام.

وكيل النيابة: يجدد خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق ويراعى له التجديد في الميعاد.

أستاذ شريف: أحمد حبيبي، إيه اللي جرى لك؟

أحمد: فينك يا أستاذ شريف؟ أنا بقالي هنا أسبوعين.

أستاذ شريف: معلش على ما عرفت مكانك، الناس دي سككها كتير وأماكنها أكتر، وكل ما اسأل عليك يقولوا لي مش هنا ويبعتوني.

أحمد: وبعدين؟ هفضل كدا كتير؟

أستاذ شريف: ما تقلقش خالص؛ طول ما انا معاك ولا يكون عندك فكرة.

أحمد: أنا مش شايف مبرر أصلًا لكل اللي بيحصل دا.

أستاذ شريف: يمكن حد متضايق منك ولا حاجة.

أحمد: أنا عمري ما زعلت حد، وكمان فيه حد يتضايق من حد يعمل فيه كدا؟!

أستاذ شريف: ولاد الحرام كتير.

أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أستاذ شريف: طب بقول لك إيه؟ إنت محتاج حاجة؟ أنا جبت لك لبس وأكل، مدام فاطمة مجهزاهولك وكانت عايزة تيجي معايا، وسيبت لك فلوس علشان لو احتاجت أي حاجة، ما تتكسفش.

أحمد: عايز المصحف بتاعي والسبحة بتاعتي.

أستاذ شريف: غاضبًا فيه حد في الظروف دي يطلب دا؟!

أحمد: هو فيه ظروف أصعب من دي أحتاج فيها ربنا؟!

أستاذ شريف: طيب، المرة الجاية أبقى أجيبهم لك.

أحمد: وعايز أشوف مريم وأيمن لو سمحت، معلش تاعبك معايا.

أستاذ شريف: عينيَّ حاضر، بس لما تروح السجن؛ طول ما انت في النيابة ما ينفعش، وانت خلاص هتترحل اليومين دول، فعلى ما تروح وتستقر هاعملهم إذن بالزيارة على طول.

وهمَّ الأستاذ شريف بالخروج وعاد كأنما تذكر شيئًا.

أستاذ شريف: بالحق يا احمد، فين الصندوق اللي سابهولك علي؟

أحمد: ليه؟

أستاذ شريف: يمكن يكون فيه مفتاح خروجك من هنا.

أحمد: مضطربًا الورق المهم جبتهولك أول ما اتقابلنا.

أستاذ شريف: المهم لسه ما جاش، عمومًا حاول تفتكر لحد ما أجي لك المرة الجاية، أنا مش مستعجل، وفكر كويس في اللي وصلت له، الفلوس والشهرة والدنيا اللي تحت رجليك، واحسبها صح، الاختيار بيغير دين الواحد ودنيته؛ فلازم تختار صح؛ علشان الفرصة ما بتجيش للواحد غير مرة واحدة.

أحمد: إن شاء الله.

وظل أحمد يفكر في الذي يريده الأستاذ شريف من الصندوق، أيريد المذكرات؟ أم يريد كتاب السر الأعظم «العهد»: أنا ازاي ما قريتش الكتاب دا لحد دلوقتي؟! إيه يا عم حمزاوي؟ موديني على فين؟ غيرت حياتي ولسه عمال تغير فيها. يا رب الفرج من عندك يا رب.

(٢٥)

أبانوخ: يا رجال الفتن، يا أعظم الرجال، أريدكم أن تقوا عزيمة السحرة، وأن تنشروا رجالكم ونساءكم بين بني إسرائيل وتهمسوا بينهم أن السحرة عندهم العلم والخبر الفصل، وبالتأكيد سينهاهم آصف عما يفعلون، تقومون وقتها بتسفيه قوله فيهم وتقليل شأنه بينهم واتهامه بالجنون، أريده أن يصبح وحيدًا منبوذًا لا يدق على بابه شخص حتى يصيبه الجنون، هيا اذهبوا بوركت أعمالكم وخطواتكم.

امرأة من بني إسرائيل: سيدي آصف، لقد منَّ الله على ولدي بالشفاء على يد الساحر أفخيخ، لكنه طلب مني الكثير من المال مما لا طاقة لي به، فهل إذا لم أعطه المال سيمرض ابني مرة أخرى؟ أم ماذا سيحدث؟

آصف: ماذا فعلتِ؟ بدلًا من أن تلجأي لله ذهبتِ للساحر؟ كيف تفعلين هذا بنفسك؟!

المرأة: كان الولد مصروعًا، وأخبرتني جارتي أن الساحر أفخيخ يشفي المرضى، وبالفعل ذهبت بالولد مريضًا عدت به معافى.

آصف: ألا فليرحمك الله، أتبيعين دينك بسحر ساحر، اذهبي فتوبي.

المرأة: لقد أخطأت بسؤالك، ولِمَ أسألك وأنت عبد فقير ليس له من الأمر حيلة؟!

آصف: اللّٰهُمَّ اغفر لها وارحمها.

رجل من بني إسرائيل: يا سيدي آصف، تعلم تقديري لك وحبي لك.

آصف: بارك الله فيك يا ولدي.

رجل من بني إسرائيل: ولكن تعلم ضيق حالي وفقري.

آصف: اطلب الغنى من الله يا ولدي؛ فخزائنه مليئة لا تنفد.

رجل من بني إسرائيل: إني أخجل من سؤالي.

آصف: لا تخجل يا ولدي.

رجل من بني إسرائيل: لم تقبلني أي عائلات بني إسرائيل زوجًا لبناتهم لضيق ذات اليد، واشتقت للمس النساء شوقًا غلبني؛ فذهبت إلى طالوش الساحر، فوهبني جنية أقضي معها حاجتي، فهل يعد هذا زنا؟

آصف: يا ويح عقلي! أتسألني في الزنا ولا تسألني في الكفر؟! كيف لك يا ولدي أن تغضب مولاك الذي سواك ووهبك من النعم ما يستوجب الشكر طيلة حياتك؟! أتخشى الزنا ولا تخشى نيران الكفر؟! كيف لك أن تلجأ للساحر يا ولدي؟! تب إلى الله، وارجع عما حل بك.

رجل من بني إسرائيل: قد أصابك مسٌّ من الجنون؛ نظرًا لكبر سنك، لا عتب عليك.

آصف: انتظر يا ولدي رحمك الله، عد إلى الله.

رجل من بني إسرائيل: لا شأن لك بي أيها الأخرق.

كاد آصف أن يجن من هول ما يراه في بني إسرائيل، فارتقى على ربوة يوم السوق وأخذ يخطب فيهم قائلًا،

آصف: يا بني إسرائيل، يا قومي، يا أهلي، إنني أرى تفشي وباء بكم، لكنكم لا تبصرون، وأخشى أن تسقطوا في بئر الغضب من الله. أنتم أبنائي وإخوتي، وإني بكم شفيق رفيق. إن عمل السحر والسحرة يأتي بسخط الله، عودوا إلى الله ربكم الرحيم الودود القابل لكل جار، الذي إن تبتم إليه تاب عليكم وغفر ذنبكم وقبلكم. يا قوم، إنكم قريبو عهد بنبوة؛ فلا تبدلوا أمركم فتصبحوا نادمين.

أحد بني إسرائيل: هل نصبت نفسك علينا حارسًا؟

آصف: يا قوم، ما حل بكم؟! أنسيتم عهدكم مع نبيكم؟

أحد بني إسرائيل: لقد جن الرجل!

آصف: إني أخشى عليكم عذاب يوم القيامة.

أحد بني إسرائيل: لا تسمعوا له؛ إنه يريد أن يفتنكم.

أحد بني إسرائيل: ما حدث له من فقد المال والولد أصاب عقله.

أحد بني إسرائيل: الزم بيتك حتى لا نصيبك بأذى، او ارحل عنا وكف عنا لغطك.

آصف: طالما هناك بين ضلوعي أنفاس سأبقى أنصحكم مهما بدا لي منكم.

رجل من بني إسرائيل: إذن لن ترى منا إلا كل سوء.

آصف: اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

رجل من بني إسرائيل: ارجموه حتى يكف عن حديثه البائس.

آصف: يا قوم، كفوا عني، والله لو قطعتموني إربا سأنصح لكم.

رجل من بني إسرائيل: هيا ارجموه، هيا حتى يصمت.

أباديباج: السلام على الصديق العزيز.

آصف: وعليك السلام.

أباديباج: ما بك؟

آصف: لا تعبأ، إنها بعض اختبارات الله.

أباديباج: سمعت بما فعله بك بنو إسرائيل، لكن لم أتخيل أنهم آذوك لهذه الدرجة.

آصف: كلها مكفرات ذنوب.

أباديباج: أرأيت الذين تدعو لهم وأنفقت مالك عليهم ماذا فعلوا بك؟

آصف: لم يفعلوا إلا أن نفذوا مراد الله فيَّ وما كتبه عليَّ.

أباديباج: اسمع يا رجل، لقد آن الأوان أن نتفق على ما سبق وعرضته عليك.

آصف: لنجوم السماء أقرب إليك مما تتمناه.

أباديباج: اسمعني يا رجل، أتعجبك حالك هذه؟!

آصف: لله الفضل والمنة.

أباديباج: أرى رأيًا آخر.

آصف: وما هو هذا الرأي؟

أباديباج:إن كان يؤلمك أن تكون لي الزعامة فلنقتسمها بيننا.

آصف: وكيف هذا؟

أباديباج: تدلني على ملك سليمان، وأنا أعيد إليك أموالك وجاهك وزعامتك على الإنس، ونصبح شركاء، أنت زعيم الإنس وأنا وزيرك، وأنا زعيم الجن وأنت وزيري. لن يغلبنا أحد، نعود لسابق عهدنا معًا، ونتوب وندعو عشائرنا للعودة إلى الله.

آصف: لتعلم يا أباديباج، لو أخذت أنفاسي نفسًا نفسًا، لن أنفذ لك ما تطمح إليه.

أباديباج: سأتركك هكذا وحيدًا شريدًا، تموت ولا تجد من يترحم عليك، تبيع ما بين يديك لوهم علق في بالك، وسأصل لما أطمح له، إن لم يكن الآن فبعد حين، وإن لم أفعله فأبنائي سيفعلونه، ولتظل الحرب بيننا حتى نهاية العالم. سأنصرف، وليس عليك مني سلام أو كلام.

آصف: يا الله، يا كريم، يا ذا المنِّ ولا يُمنُّ عليه، قوني من فضلك، وإذا كان قد اقترب أجلي فثبتني وردني إليك ردًّا جميلًا، اللّٰهُمَّ قد اشتدت عليَّ الفتن، فاللّٰهُمَّ ردني غير فاتن ولا مفتون.

(٢٦)

ظل أحمد في سجنه ينتظر زيارة أيمن ومريم، وحين أتته الزيارة كانت كما العيد يأتي للفقراء بالسعادة.

أيمن: أبو حميد حبيبي، ليك وحشة والله.

مريم: إزيك يا احمد؟ قلبي ما كانش مطاوعني آجي واشوفك وانت هنا.

أحمد: إزيكم يا ولاد؟ وحشتوني قوي.

أيمن: إنت أكتر والله، إيه الأخبار عندك؟

أحمد: الحمد لله والله، بقالي كتير ما قعدتش مع نفسي وفكرت كدا،ربنا ما بيعملش حاجة وحشة.

أيمن: بس أستاذ شريف طمني، قال لي فيه حاجة هو هيفتكرها ويقول لي عليها وبعدها هتخرج على طول، حاجة إيه دي يا برنس؟

أحمد: مش عارف يا أيمن، فيه حاجة غريبة هو عايزها مني، مش عارفها، وفيه حاجة بتقول لي حتى لما اعرفها ما اقولهالوش.

مريم: غريب الراجل دا! هو دا وقت مساومات؟!

أيمن: دا انا كنت بحسب إنها حاجة في الأحداث لما تحكيها هتخرجك من هنا.

أحمد: لا، دا بيهددني بطريقة غير مباشرة.

مريم: وبعدين يا احمد؟ أنا قلقانة قوي عليك.

أحمد: ما تقلقيش يا مريم. معلش يا أيمن، ممكن تسيبني خمس دقايق مع مريم؟

أيمن: آه طبعًا. هاستناكي بره. خد بالك من نفسك يا احمد، مش عايز حاجة؟ بجد والله.

أحمد: تسلم لي يا حبيبي، دعواتك بس، خد بالك من نفسك.

مريم: خير يا احمد؟

أحمد: خير يا مريم، معلش أنا بتقل عليكي، بس انتي عارفة مكانتك عندي.

مريم: هازعل والله، قول على طول.

أحمد: عارفة شقتي القديمة؟ جيتي وصلتيني مرة بالعربية وانا تعبان.

مريم: آه طبعًا عارفاها.

أحمد: روحي هناك، وليَّ جارة في الشقة اللي جنبي اسمها الست أم عبده، معاها نسخة من المفتاح، قولي لها أحمد باعتني آخد حاجة من الشقة، وبيقول لك ادعي له واقري له الفاتحة.

مريم: تمام، وانت عايز إيه من هناك؟

أحمد: هتلاقي صندوق شكله غريب كدا، وتحت طرف المرتبة مفتاحه، افتحيه، فيه كتاب غريب كدا هاتيهولي.

مريم: اسمه إيه؟

أحمد: السر الأعظم «العهد»

مريم: حاضر، حاجة كمان؟

أحمد: آه، هاتي لي شوية كتب من شقتي وحطيه في وسطهم علشان ما يبانش، ولو حد سألك قولي له عايز يقرا علشان يكمل الموضوع بتاع الرسالة بتاعته.

مريم: خلاص، إن شاء الله في زيارة الأسبوع الجاي هيكون عندك.

أحمد: شكرًا يا مريم.

مريم: بس يا واد يا دكتور انت. سلام مؤقت.

أحمد: سلام يا مريم.

وبالفعل جاءته مريم بالكتاب وسط بقية الكتب، وعندما أمسك بالكتاب وقبل أن يبدأ في قراءته شرد بذهنه، فإذا به يرى الوجه الباسم لعم حمزاوي.

(٢٧)

وبعد خروج أباديباج بوقت قصير طرق الباب علي آصف علي غير العاده، فقد اصبح وحيدا لا يطرق بابه الا نادرا

آصف: من الطارق؟

....: عابر سبيل، قد ضاقت به السبل، فهل تدخلوه حماكم؟

آصف: ألا إن الحمى حمى الله، تفضل بالدخول.

....: أبي، كيف حالك؟ ومن فعل بك هذا؟

آصف: اللّٰهُمَّ لك الفضل والمنة، لا أحصى ثناءً عليك، ولا أستطيع شكر نعمك السابغة عليَّ، أن رددت لي ابني. كيف حالك يا بني؟ وكيف حال أهلك وولدك؟

برقان الرؤيا: بخير حال يا والدي، ماذا حل بك؟

آصف: لا شيء يا ولدي. لقد اشتقت إليك كثيرًا، أخبرني ماذا وجدتم؟

برقان الرؤيا: استقر بنا المقام في مصر، وأحببنا أهلها، وأظن أنهم أحبونا، وأقمت تجارة أرجو أن يبارك الله فيها، ولما استقر المقام أتيت لأصطحبك معي، وخيرًا فعلتُ؛ فأنت بحال مزرٍ.

آصف: اللّٰهُمَّ لك الحمد على أن اطمأننت على ولدي، لا تقلق عليَّ يا ولدي فأنا بخير، ولن أبرح هذه الأرض، وسأدفن هنا بجوار هذا المسجد المبارك

الذي أكملنا بناءه أنا ومولاي سليمان، لكن الله أرسلك لي لسببين.

برقان الرؤيا: وما هما يا والدي الحبيب ؟

آصف: ثانيهما أن تتولي غسلي وتكفيني ودفني.

برقان الرؤيا: مد الله في عمرك يا أبي وأعطاك الصحة.

آصف: مبتسمًا لم تسألني عن أولهما.

برقان الرؤيا: وما أولهما أيها الأب الفاضل؟

آصف: آن الأوان أن تأخذ العهد الذي طالما سألتني عنه.

برقان الرؤيا: الآن يا والدي؟

آصف: نعم يا ولدي، ولكن قبل أن تأخذه عليك بتبعاته: أن تصدق الله الناس؛ فعهد الله لا يعطى لكاذب، أن تكون صفاتك وتعاملاتك كلها لله، إذا سكت فللتفكر، وإذا نطقت فللعبادة والنصح، ليكن جوهرك خيرًا من ظاهرك، وسرك خيرًا من علانيتك، لتتجلد مهما عظمت الخطوب، ولا تضعف مهما كثرت عليك الفتن،

وحين تعلم بانقضاء أجلك، عليك أن تعطيه لأقرب أبنائك، فإن وجدت الخير في غيرهم فافعل، وإن لم تجد خيرًا في أحد فسلم الأمر لله، يصرفه كيف يشاء، هو يتولاه ويعطيه لأهله، وأي ما كانوا أهله فهم أهلك وأنت أهلهم، فالرابط الإلهي أوثق من كل الروابط، فبقدر ما يعطيك هذا العهد من عزة وشرف وكرامة، سيأخذ من صحتك وقوتك ويفتنك، فأدم سؤال الله أن يقيك شر الفتن ما ظهر منها وما بطن. اقترب مني يا بني.

«اللّٰهُمَّ هذا صاحب عهدك وأنت أعلم مني به؛ فأعنه وقوه ومده بالقوة التي يتحمل بها أحكامه وأعرافه ولا تجعل للظالمين عليه سبيلًا، اللّٰهُمَّ هب له منك سرًّا بالأسرار مسرور يا الله، اللّٰهُمَّ أذقه لذة وصالك واتباعك يا الله، اللّٰهُمَّ اجعله من عبادك الأخيار، اللّٰهُمَّ اكشف له أسرار المنع والجواز، اللّٰهُمَّ افتح له مسامع قلبه وجميع جوارحه لذكرك وشكرك وحمدك، اللّٰهُمَّ طهر قلبه من العلل والأوهام، وسلمه من الانحطاط، واربط قلبه بحبك كل ارتباط، وارزقه قلبًا خاشعًا وفكرًا منشغلًا بك ونورًا ساطعًا يملؤه، وأزل عن قلبه وبصره وبصيرته ظلمة الحُجُب، اللّٰهُمَّ خذ بيديه من المضايق واكشف له وجوه الحقائق ووفقه لما تحب وترضى، اللّٰهُمَّ اكشف عنه حجب الظلمة ونوره بنورك الذي نورت به أهل القلوب الطاهرة، اللّٰهُمَّ يا عجيب الصنائع، لا تُنْطِقْ لسانه إلا بآلائك وثنائك ونعمك، وأغثه عند كل كرب وأجبه عند كل دعوة وأعذه عند كل شدة، وكن له الرجاء حين تنقطع عنه الحيل، وفرج كربه وأعطه سؤله، اللّٰهُمَّ علمه كيف يذكرك وكيف يحمدك وكيف يشكرك؛ إنك أنت المنعم الوهاب، وارزقه القوة والتمكين والفتح المبين، اللّٰهُمَّ املأ قلبه نورًا واجعله من أهل النور وعلمه الكتاب والحكمة، وفقه في الملكوت،وأحيه حياة طيبة على شاطئ بحر محبتك، اللّٰهُمَّ يا باعثًا املأ قلبه بنور معرفتك واغمره باليقين، اللّٰهُمَّ إني أسألك كما لطفت عليه في عظمتك دون اللطفاء، أسألك أن تلطف به وبأهله فيما جرت به المقادير من واسع فضلك وإحسانك، اللّٰهُمَّ افتح له فتوح العارفين، واغفر له واهده وانصره، اللّٰهُمَّ أنزل السكينة عليه وثبت قلبه وأثبه، اللّٰهُمَّ أعد له العز والمجد وارفع شأنه، اللّٰهُمَّ يا ذا الأناة، يا حليم، يا كريم، يا من لا يعادله

شيء من خلقه، ارزقه الحلم وسعة الصدر، اللّٰهُمَّ علمه من علمك وفهمه عنك واهده طريق الرشاد، اللّٰهُمَّ اجعل شمس معرفتك مشرقة على أركان فؤاده، لا تحجبها غيم الأوهام، وأحسن خاتمته في الأمور كلها، وأفض عليه من سحائب ذاتك فيضًا مدرارا، وامنحه من إحسانك في ظلمات الليل والنهار ومن عظيم أفضالك أنهارا، ومن خزائنك المصونة أسرارا، ومن مشكاتك المقدسة أنوارا، اللّٰهُمَّ اجعل له طريقًا موصلًا يهتدي به كل سائل، واكشف له حجب الموانع والحوائل فلا يشهد سواك، وليمتثل لأوامرك ونواهيك، ومنَّ عليه بيقظة الفؤاد ليكون ممن صحا في مرضاة مولاه وسلك وارتقى، وارفع عن عين قلبه غطاها وغشاها؛ ليشهد الأشياء على ما هي عليه عيانا، ويدرك ذلك كشفًا وإيقانا، مع التثبيت والتمكين، اللّٰهُمَّ أشرق عليه بأنوارك القدسية، وأفض على قلبه من أنوارك العلية مددًا يقربه من حضرتك السنية، ومده بمددك السبوحي ليحيا بذلك لبه وروحه، واجعله عندك من السابقين، وارزقه نظرة من نظراتك ورحمة من رحماتك وعطية من عطاياك اللطيفة، يا الله، يا الله، يا الله...

برقان الرؤيا:وكان هذا آخر ما ترامى إلى سمعي، انتهى الأمر بي مغشيًّا عليَّ. أفقت فوجدت أبي على وضع الدعاء ذاته، وقد فاضت روحه إلى بارئها، فما كان مني إلا أن دفنته كما أحب دومًا ورجا، ودعوت له وانصرفت حاملًا العهد، وقد وقر في نفسي مكان التابوت الحاوي للأسرار واسم الله الأعظم الموجب للإجابة، وعدت أدراجي إلى مصر، وأكملت حياتي وحملت الرسالة وكتبت إليك ما كتبت؛ حتى تعلم وتتعلم من تاريخ آبائك الأولين من معك ومن عليك وماذا عليك أن تفعل.

(٢٨)

عم حمزاوي: جاهز يا احمد؟

أحمد: متهيأ لي بعد كل اللي عدى عليَّ المفروض أكون جاهز.

عم حمزاوي: إنت أثبت بكل اللي عدى إنك أهل لكل اللي جاي.

أحمد: طول ما ربنا المعين، يجي اللي يجي، كله يهون.

عم حمزاوي: يلا بينا، نخطي على المكتوب، اتكل على الله وافتح السر الأعظم، ربنا يفتحها عليك يا ابني

أحمد: بسم الله،

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين واصطفانا على خلقه أجمعين، وجعلنا من نسل قوم صالحين وخصنا بما يختص به قليلًا من عباده المختارين، ثم أما بعد،

فاعلم يا من يصلك كتابي هذا أنك مني وأنني منك، وأننا - وله الفضل والمنة - من ذرية الحفظة، حفظة الأسرار، الذين يحملون أمانات ناءت بحملها الجبال، واستحالت على كثير ممن يطلق عليهم رجال.

فإنه تعالى كما اختار رسلًا واصطفاهم من سلالات كرام، وهب لهم وزراء عظام، قاموا لهم بالنصيحة، وحملوا معهم الأمانة وأخذوا العهد وحفظوه، وكتموا لهم الأسرار.

فنحن من نسل كريم، نحمل الأمانة ونرعاها مهما عظمت الخطوب وكثرت الفتن وتجبَّر الظالمون.

وقد جمعت بعض ما وصل إليَّ مما ذكر آباؤنا الأولون ومر بي وسيمر بكَ، فاحفظه وعه؛ ففيه سر عظيم وعهد كريم لا يناله إلا الأشداء العقلاء، فيه ما إن تكلمت به سمعت، وإن ناجيت به استجب لك، ما تتخاطفه الملائكة ولا تسعه أرض ولا سماء.

فاقرأ بقلبك واحفظ بعقلك...

وأخذ أحمد في قراءة العهد،حتي قرب الوصول للنهايه والمشهد يتغير أمامه، ويتحول من السجن إلى بيت قديم يملؤه النور،وتحلق حوله ملائكة السماء وبداخله آصف بن برخيا يجلس ويتلو العهد على ابنه برقان الرؤيا، ويأتي مشهد آخر له وهو ببيت عم حمزاوي وهو يرقيه ويتلو عليه العهد وهو يردد خلفه كآخر مرة رآه فى منزله،وأخذته إغماءة وأخذ يتصبب عرقًا، وحين افاق وجد من حوله ينظرون له في ذهول وأخبروه أنه أصابته نوبة أشبهما تكون بالصرع واخذ يردد ادعيه ويعد بالوفاء بالعهد مهما اشتد الامر وعظم.

(٢٩)

وفي ليلة جلسة الحكم قام أحمد الليل مبتهلًا داعيًا الله:
«بسم الله، اللّٰهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وصلِّ وسلم وبارك على كل الأنبياء بما حملوا من رسالات تحينا وترشدنا منذ آدم حتى محمد بن عبد الله، اللّٰهُمَّ اجعل لنا من كل ضيق فرجًا، ومن كل هم مخرجًا، واكمد بنار الغيظ والخسران كل عدو مفتر وجان، اللّٰهُمَّ اجعل من لطفك الخفي حجاب ستر شامل يا الله، واحفظنا يا رب إلى الممات من فتن الزمان والآفات، اللّٰهُمَّ فرج عنا كل كرب وضيق ولا تحملنا ما لا نطيق، اللّٰهُمَّ كما نجيت يوسف من السجن، وموسى من الغرق، وإبراهيم من النيران، نجني من كل كرب ألمَّ بي، وفرج عني ما أنا فيه، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله «اللّٰهُمَّ فرج عاجلًا غير آجل يا مفرج فرج، يا مفرج فرج، يا مفرج فرج. لا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم، اللّٰهُمَّ أنت المستعان ولك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء، فقد اشتد عليَّ الأمر وعظم البلاء؛ فأدركني يا إلهي وسيدي الساعة، واجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا يا الله، اللّٰهُمَّ خذ بأيدينا من المضايق واكشف لنا وجوه الحقائق،

ووفقنا لما تحبه وترضاه، اللّٰهُمَّ يا عجيب الصنائع - فلا تنطلق الألسن بكل آلائه وثنائه - ومعاذي عند كل شدة، ورجائي حين تنقطع حيلتي، فرج كربي يا الله،

اللّٰهُمَّ يا كاشف ضر أيوب ومغيث كل مكروب، أسألك أن تمحو شقائي وحرماني وتفرج همي وغمي، اللّٰهُمَّ إنه يضيق صدري ولا ينطق لساني وعلمك بحالي يغنيك عن سؤالي، اللّٰهُمَّ أغدق عليَّ من نعمك ما ينسيني ما لاقيته من الشدة والضيق، يا شفيق يا رفيق يا منعم يا وهاب، اللّٰهُمَّ يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، هب لي من لدنك رحمة وتوبة ومغفرة تمحو بها الذنوب والآثام وأسألك أن تجعل لي فرجًا قريبًا ونصرًا عزيزًا مؤزرًا، يا فارج الهم والغم، يا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها، ارحمني برحمة من عندك تغنني بها عن رحمة سواك، إنك حسبنا ونعم الوكيل.

اللّٰهُمَّ إني أسألك أن تجعل النور في بصري والإخلاص في عملي وشكرك في قلبي وذكرك على لساني في ليلي ونهاري ما أبقيتني, اللّٰهُمَّ إني أشكو إليكَ ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بكَ عليَّ سخط فلا أبالي، لكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو تنزل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. يا الله، اللّٰهُمَّ يا غوث المستغيثين، ومنتهى الراغبين، ومنفس كرب المكروبين،

اكشف كربي وهمي وغمي يا الله. يا شاهدًا غير غائب، ويا قريبًا غير بعيد، ويا غالبًا غير مغلوب، اجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا وارزقني من حيث لا أحتسب. بسم الله أفتتح وبه أختتم، الله ربي لا أشرك به شيئًا، الله أعز وأكبر من شر ما خلقت وذرأت وبرأت، وبك اللّٰهُمَّ أحترز منهم، وبك اللّٰهُمَّ أعوذ من شرورهم وتحيلهم ومكرهم ومكائدهم، وبك أدرأ في نحورهم، يا الله، يا الله، يا الله.

اللّٰهُمَّ تقبل منا؛ إنك أنت السميع العليم، وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم، وصلِّ اللّٰهُمَّ على سيدنا محمد، النور الذاتي

ومرآة الحق للأكوان، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وفي صباح اليوم التالي

مريم: يلا يا احمد، النهاردا الجلسة اللي فيها الحكم.

أنا متفاءلة جدًّا. اطلع بقى علشان تمسك الدار والجريدة، كفاية دلع، حضرتك أنا تعبت بقى.

أحمد: ربنا كريم إن شاء الله، قادر يقرب البعيد.

أيمن: الوحش، ما تقلقش؛ المحامي طمني وقال لي إن القضية كلام فارغ. ربنا يهدي القاضي بس وما يأجلش، وتروح معانا يا حمادة.

أحمد: ما فيش حاجة بعيدة عن ربنا يا حبيبي.

د. منى: طول الليل بدعي لك يا احمد، إن شاء الله خير.

مدام فاطمة: وانا كمان، وقريت لك يس، ربنا يخرجك بالسلامة.

د. حسين: ما تقلقش يا بطل، حتى تهمتك شرف، والمحامي قال لي إنها هتخلص النهاردا بإذن الله.

مريم: إيه اللي جابه دا دلوقتي؟!

أستاذ شريف: مبسوط باللي وصلت له؟

أحمد: جدًّا، وانت مبسوط باللي انت فيه؟

أستاذ شريف: هي حرب دايرة ومستمرة، ومسيرنا نكسبها.

أحمد: حقك إنك تحلم، وحقي إني أحقق أنا الحلم.

محكمة....